مجلة شهرية

Issue No: 50 :عدد
October 2011 تشرين أول

نور المسيح
ΦΩΣ XPIΣTOY

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

أنا الكرمة وأنتم الأغصان.
من يثبت فيَّ وأنا فيه فهو يأتي بثمرٍ كثيرٍ ،
لأنّكم بدوني لا تستطيعون أن تعملوا شيئاً.

الطائرون

النعام هو بطل الجري بين الطيور

الشاهين : وهو من فصيلة الصقور

أنّ طائراً صغيراً كالعصفور يطير بسرعة تقرب من **٢٥ كيلومتراً** في الساعة.

ولكنّه إذا طارده صقر أو حسَّ بأي خطر يهدّده ، فإنّه يضاعف سرعته لتصل إلى حولي **٥٠ كيلومتراً** في الساعة.

ومن المعروف أنّ النعام هو بطل الجري بين الطيور فخطوته تزيد على ستّة أمتار ، ويستطيع أن يجري بسرعة **٨٠ كيلومتراً** في الساعة.

إذا كان هذا هو الحال بالنسبة للطيور الضعيفة التي تهرب لحياتها من الخطر. فكم بالأحرى أنت الذي يجب أن تهرب لحياتك من هذا العالم المحكوم عليه بالفناء ، وأن تهرب من الشرور والأخطار المحيطة بك والتي تهدّد خلاص نفسك وحياتك الروحيّة ، وتحرمك من مجد السماء ونعيمها.

ومن المعروف أنّ سرعة طيران **الشاهين** (وهو من فصيلة الصقور) تصل إلى حوالي **٩٠ كيلومتراً** في الساعة ، في حين إذا كان يُطارد طائراً آخر ليأكله فإنّه يُزيد سرعته لتصل إلى حوالي **٢٩٠ كيلومتراً** في الساعة.

فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للطيور الضعيفة التي تسعى وراء قُوتها وأكلها. فكم بالأحرى أنت المدعو للأكل **من الوليمة السماويّة**. فهل يليق بك أن تسعى وراء طعام الجسد ولا تلتفت إلى طعام الروح.

«إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبديّة» (يو ٦:٢٧).

أخي الحبيب:

يقول الوحيّ الإلهيّ:

«مَن هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها» (أش ٦٠:٨).

هؤلاء هم النفوس التي أحبّت **ربّنا يسوع المسيح** وعاشت منشغلة بالسماء.

فكانت حياتها على الأرض كسحاب وكحمام ذاهب في طريقه إلى بيته السماوي. حيث مكان الراحة الذي تستريح فيه نفوسهم.

من أجل ذلك يقول مرنّم إسرائيل الحلوّ:

«ليت لي جناحاً كالحمامة فأطير وأستريح» (مز ٥٥:٦).

وهذا الشاعر الذي فضَّل **إرتشاف كأس الموت** من أن يقع في **براثن الرذائل**، فكان يرى الموت يملأ ما بين المشرقين أمامه ، ويرى **المعايب خلفه** ، وهي **أصعب عنده من الموت** ، لذلك خاضه غير هيّاب ولا وَجِل ، قال:

أرى ملء عينيّ الردى فأخوضه

إذا الموت قدّامي وخلفي المعايب

محتويات العدد

2	الطائرون
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	رموز العذراء
5	الروحانيّة الأرثوذكسيّة
8	في ميلاد العذراء للقديس يوحنا الدمشقي
11	فضيلة الإحتمال
12	الملائكة والشياطين
14	العناية الإلهية
16	تفسير القدّاس الإلهيّ
17	متفرّقات
18	الله يعمل للخير
20	الكبرياء
21	العهد القديم . (٣٤)
22	عظة عن الكهنوت
23	أنا وابنة الكاهن الوثني

توزع هذه المجلة **مجاناً**

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد ميلاد والدة الإله العذراء مريم

«إنّ ميلادك يا والدة الإله بشَّر المسكونة كلَّها بالفرح. لأنّه منك قد أشرقت شمس البرّ المسيح إلهنا. فنقضَ اللعنَة. ووهب البرَكة. ولاشى الموت. ومنحنا الحياة الأبديّة» (طروباريّة العيد).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع

تبتهج اليوم كنيستنا المقدّسة بعيد الحدث الخلاصي المُفرح للبشريّة كافّة ألا وهو ميلاد الفائقة القداسة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم. لأنّ هذا الحدَث هو ينبوع الفرح ، إذ فيه أشرقَ شمسّ العدل المسيح إلهنا من العذراء البتوليّة مريم.

أنّ حكماء العالم قد أنذروا مُسبقاً عن إشراق شمس العدل، وكذلك الأنبياء القديسين قد سبقوا وتكلّموا بعد أن لاحظوا بدءاً وبأجلى بيان هذه الحقيقة كما أعلنها النبيّ أشعياء البوق الإلهي العظيم : «يعطيكم الربّ الإله آية ، ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل» (أشعياء ٧:١٤).

أمّا النبيّ حزقيال فيقول: «فقال لي الربّ هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان لأنّ الربّ إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً» (حزقيال ٤٤:٢).

في كلام الأنبياء هذا ،لاحظ آباء الكنيسة القديسين وبإلهام خاص، صفة **البتوليّة الدائمة للعذراء والدة الإله مريم**.

إنّ البتوليّة الدائمة لوالدة الإله مريم: هي الشكل الخاصّ والمميّز الذي يساوي العلامة التي تقاوم للدعوة وللشركة فيه (أي للعذراء) يعني الدعوة بالروح القدس في سرّ تجسّد كلمة اللّه ، أي خلاص الإنسان.

بالرغم من أنّ الحَدَث **غير مدرك** ، إلاّ أنّه خاضع لشهادة ولتأكيد من كلام الأنبياء ، وكذلك أيضاً من أقوال الرب يسوع المسيح في الكتاب المقدّس ، كما يقول المرنّم إستفانوس إيجويوبوليس (إستفانوس الأورشليمي). «اليوم حدث إبتداء خلاصنا يا شعوب. فها إنّ التي منذ الأجيال القديمة سبقَ تحديدها أُمّاً عذراء ، وإناءً للّه توافي مولودة من عاقر ، فقد نبتت زهرةٌ من يسّى وعصا من جذره».

بكلام آخر مرنّم الكنيسة يُعلن لشعوب الأرض ، أنّه اليوم يوم ميلاد والدة الإله أصبحت بدايةً لخلاص البشريّة. فها إنّ العذراء نبطت من صخرةٍ عقيمٍ لخلاص نفوسنا.

أيها الأخوة الأحباء

ولادة والدة الإله بالحقيقة بشّرت مُسبقاً ، لإنجاز وتتميم بشارة دعوتها إلى خدمة سرّ التدبير الإلهيّ ،أي تجسّد كلمة اللّه.فولادة العذراء مريم لهي رباط قويّ ومتماسك ، بدون إنقطاع ولا إنفصال مع سرّ خلاص الإنسان.

ولادة العذراء ، وهذا يتعلّق أيضاً بشكل غير مباشر مع حلْ لعنة النّاموس ، هذه اللعنة التي فيها إشترانا المسيح الإله بدمه الكريم ، كما يقول الطوباوي بولس: «المسيح إفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنّه مكتوبٌ ملعونٌ كلّ من علّق على خشبة» (غلاطية ٣:١٣)

بالإضافة إلى ذلك ، وبشكل خاص ، تتعلّق ولادة العذراء الدائمة البتوليّة مريم مع إبادة موت الخطيئة، الموت الذي أدخَلَ ليس محبّة اللّه الكاملة ، لكن عدم الطاعة لمشيئة وإرادة اللّه ، وتعدّي آدم القديم إلى وصايا اللّه ، كما يعلّم الرسول بولس الحكيم: «من أجل ذلك كأنّما بإنسان واحد دخلت الخطيّة إلى العالم وبالخطيّة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع».

القديس كيرللس رئيس أساقفة الإسكندريّة يفسّر كلام بولس الرسول هذا فيقول:

"الطبيعة أصبحت مريضة مع الخطيئة بعدم الطاعة للواحد يعني آدم، هكذا أصبح كثيرون خُطاة ، لكن ليس كأنّهم أبيدوا سويّة مع آدم ، لأنّهم لم يكونوا موجودين معه أصلاً ، لكن بسبب كونهم من نفس طبيعة آدم تلك الطبيعة التي سقطت تحت ناموس الخطيئة " (پاترُلوجي چريكا P.G. 74,789).

إنّ ولادة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم ، وبشكل واضح ، كما يقول مرنّم الكنيسة : فإنّ اللّه قد أهداها الحريّة أولاً من ناحية والديها القديسين يواكيم وحنّة إذ أعتقهما من عار العقرة ، وكذلك بالنسبة إلى الجدين الأولين آدم وحواء فقد أهداهم التحرّر من موت الفساد أي الخطيّة ، هلمّوا إذاً ، لماذا ميلادك يا والدة الإله بشّر المسكونة كلّها بالفرح كما يعلن مرنّم الكنيسة في طروباريّة العيد المذكورة أعلاه.

القديس يوحنا الدمشقي يمدح بطريقة ترنيميّة وموضوعيّة وبسلاسة مميّزة كل عيد يتعلّق بشخص أمّ اللّه الفائقة القداسة

فيقول: «اليوم موسمٌ بتوليٌ يا إخوة. فلترقصنَّ الخليقة طرباً وليَزْفنَنَّ الجنس البشري. فقد جمعتنا والدة الإله القديسة ذخيرة البتوليّة الطاهرة فردوسُ آدم الثاني الناطقُ ، معمل إتحاد الطبيعتين ، موسم المصالحة ، الخدر الذي فيه إقترن الكلمة بالجسد ، السحابة الخفيفة حقّاً التي حملت بالجسدِ الجالسَ على الشاروبيم. »

نعم أيها الأخوة الأحباء

جمعتنا اليوم القديسة والدة الإله في هذا المكان المقدّس ، من خلال الكنيسة لنشارك في هذا الإحتفال (بالمصالحة الخلاصيّة) ، فالإحتفال هنا يعني (التجسّد الإلهي) حيث أنّ اللّه الكلمة أتمّ اقترانه بالبشريّة من خلال دماء البريئة من كل عيب والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم، وبقوّة وفعل الروح القدس.

عظيمٌ وعجيبٌ فعلاً بالحقيقة سرّ ولادة القديسة والدة الإله الذي نحتفل به اليوم.

فبتضرعات والدة الإله أيّها المسيح إلهنا خلّص نفوسنا ، وأغدق علينا سلامك وعدلك ، خاصّة في هذا المكان الذي يخوض تجارب عديدة ومتنوّعة ولجميع عالمك أيضاً . آمين

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء ـ قسط المن (١٠)

والدة الألـه المعطية الحياة

«فقال الربّ لموسى ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء ... في العشيّة تأكلون لحماً وفي الصباح تشبعون خبزاً ... فكان في المساء السلوى ... وفي الصباح شيء دقيق مثل قشور دقيق كالجليد على الأرض ... ودعا بيت إسرائيل إسمه مَنّاً. وهو كبزر الكزبرة أبيض وطعامه كرقاق بعسل.

وقال موسى هذا هو الشيء الذي أمر به الربّ ... ملء العمر منه يكون للحفظ في أجيالكم ... لكي يروا الخبز الذي أطعمتكم في البريّة حين أخرجتكم من أرض مصر ؛ وقال موسى لهرون خُذ قسطاً واحداً واجعل فيه ملء العمر مَنّاً وضعه أمام الربّ للحفظ في أجيالكم ... كما أمر الربّ موسى وضعه هرون أمام الشهادة للحفظ» (خروج١٦).

المـــنّ:

المن إسم عبري معناه «**هبة**» وهو غذاء أنزله اللّه على شعب إسرائيل في البريّة أثناء إرتحالهم في بريّة سيناء بعد خروجهم من أرض مصر بعد أن تذمّر كلّ الشعب على موسى وهرون في البريّة.

وقال لهما بنو إسرائيل: «ليتنا متنا بيد الربّ في أرض مصر إذ كنّا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنّكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كلّ هذا الجمهور بالجوع». فأظهر اللّه هذه المعجزة لشعب إسرائيل وأعطاهم المنّ والسلوى.

وتذكار لهذه الأعجوبة أمر الربّ موسى بأن يصنع قسطاً من ذهب يحفظ فيه شيئاً من المنّ. والمسيح هو المنّ المخفي (رؤ٢:١٧) النازل من السماء الواهب الحياة للعالم كلّه (يو٦:٣٢،٣٣،٤٨-٥١)

«مريم العذراء هي الكرمة المثمرة ، التي من ثمرتها الإلهيّة أكلنا فانتقلنا من الموت إلى الحياة» (القديس أفرام السرياني)

«مريم هي السماء السريّة الجديدة هي السماء الحاملة اللاهوت» (القديس أفرام السرياني)

«هي مكرّمة أكثر من الشاروبيم وممجّدة أكثر من السيرافيم» (القديس يوحنا الذهبيّ الفم)

الروحانية الأرثوذكسية:

امتياز متبادَل بين الحياة الحاضرة والآتية

الأب الدكتور. جورج ميتالينوس – عميد كليّة اللاوهوت في جامعة أثينا نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

إن عبارة «**الحياة الروحية**»، ضمن إطار الكنيسة الأرثوذكسية ، تشير إلى حقيقة محدّدة وطريقة حياة ملموسة ومفهومة وواضحة. ليست هي مدينة فاضلة غامضة ولا مثالية بدون أساس أو محصورة في حدود التأمّل والخيال. تتضمّن هذه الروحانية الأرثوذكسية مادية وواقعية ضمن واقع محدّد لطريقة حياة، طريقة أبدية للوجود دخلت التاريخ وصارت حقيقة دنيوية أرضية من خلال تجسد **الإله ـ الكلمة** ربنا يسوع المسيح. لا يمكن تصوّر الحياة الروحية المسيحية إلا إذا كانت بالواقع مرتكزة على **التجسد الإلهي**. لم يكن هدف تجسد ابن الله مجرّد تحسين الواقع البشري، بل إصلاحه وتحويله. لقد هدف إلى «**عالم جديد**» كحقيقة إلهية–بشرية.

بحسب آباء الكنيسة الأرثوذكسية، لقد أصبح الإله إلهاً–إنساناً (theanthropos) لكي يجعل حياتنا إلهية–بشرية.التقليد الأرثوذكسي هو الجهاد لمتابعة الحياة الجديدة بالمسيح وفي المسيح، تلك الحياة التي دخلت إلى العالم، من قِبَل البشر الذين سوف يحققون العلاقات الاجتماعية والأخوية. هذا يتحقق في كل جيل على مثال الآباء الإلهيين القديسين. يُعبَّر عن الأرثوذكسية بشكل أصيل بآبائها القديسين ووحدهم يمكن اعتبارهم الشهادات الصالحة عن حياتها. إن خبرتَي التقليد الأرثوذكسي والآباء متشابهتان وتشكّلان، ليس نقلاً آلياً لتعليم مصنّف، بل الاستمرارية الشخصية في عالم الحق المتجسّد، في الإطار الزمني لكل حقيقة محددة (حضارة، ثقافة، وضعية سياسية واجتماعية).

بالنسبة لنا جميعاً كأرثوذكسيين، هذا يحملنا إلى الاستنتاج بأن، عبارات الحق والعدالة والسلام والمساواة والأخوّة، ليست مفاهيم إيديولوجية ولا قضايا أخلاقية. إنها طريقة محققة للوجود إزاء يسوع المسيح والآباء القديسين والأنبياء وآباء وأمهات كل العصور. إن جهادنا لتحقيق هذه المفاهيم في حياتنا لا يستند إلى نيتنا الصالحة وتصميمنا على الجهاد بل بشكل أساسي على أعمال القدرة الإلهية. إذاً، الروحانية الأرثوذكسية ليست مجرد باطنية (تطور ثقافي أو ما شابه) بشرية المركز ولا هي روحانية مثالية ولا هي حتى تديناً. إنها المشاركة الشخصية في الحياة الإلهية التي تصبح حقيقة أرضية لكن لا يمكن تحقيقها من خلال القدرة البشرية وحدها بدون تدخل الله.

الروحانية هي حياة وجهاد في الروح القدس وهي تتماهى مع كامل حياة الكنيسة التي، كجسد، ضمن تقليدها يتجنّد الإنسان لينشد الخلاص.يأخذ جهاد الإنسان في الانتماء الكامل لهذه الجماعة تعبيراً نضالياً ثورياً محضاً. إن ثورة المسيحي هي النسك كممارسة روحية؛ ثورة ضد الطبيعة الاستقلالية الميتة، حتى «**تتلقّح**» بحياة المسيح مع قيامته، إنها عصيان ضد أنفسنا نحن الذين نحيا **ضمن حدود الموت والفساد**.

لماذا؟ الخلاص من الفساد والموت هو نعمة الله، عطية من الله غير المخلوق لخليقته. إنه ليس إنجازنا وليس مأثرة لطبيعتنا. إنه ممنوح عندما يبلغ الإنسان إلى حالة من الوجود فيها تتحرّر الطبيعة من عبودية الضرورات التي تكوّن الاستعباد للموت والفساد. لا يكتمل هذا السياق القيامي بدون عنف. كلمات المسيح ثورية بالحقيقة: «جئت لألقي ناراً على الأرض» (لوقا١٢:٤٩)، «لا تظنّوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئتُ لألقي سلاماً بل سيفاً» (متى١٠:٣٤) ، «ملكوت السماوات يُغصَب اغتصاباً والغاصبون يخطفونه» (متى١١:١٢).

كيف تُفهَم هذه الكلمات؟ إن إغتصاب طبيعتنا ضروري بالمطلَق لقهر استعبادنا الداخلي الذي يؤدّي إلى كل أشكال العبودية الخارجية. إن تجربتنا هي في الجهاد لأن ننكر «إنساننا العتيق» (رومية٦:٦). يجب أن تعتاد إرادة الإنسان على مقاومة مؤسسة الخطيئة التي يشكّلها **الموقف الأناني** نحو الناس والعالم. كوننا داخل خطيئتنا، في حياة الموت التي نسلكها، نحن نواجه كل الأمور كأشياء محايدة خاضعة لحاجاتنا ورغباتنا. فلنتأمّل في **استغلال العالم والناس، التلوّث البيئي، إنتاج الأسلحة الذرية المستعملة في سباق القوى العظمى نحو التفوق بالقوة**. الإنسان المخلص للمسيح يصارع طبيعته الأنانية من خلال الحرمان الطوعي والتعهد التلقائي لضبط الجسد لكي يصل إلى التحرر الخارجي. إنه يستقيل من نزعة الخضوع لكل شيء ويتعلم محبة العالم وتحقيق وحدته معه وكشف ختم قوة الله الخلاّقة في كل مخلوق بذاته، واستعمال العالم بطريقة ترضي الله، كليتورجيا مستمرة وإشارة إلى الله.

من خلال التجارب والصعوبات، وهي تمرين روحي، يصل الإنسان إلى الشركة الأصيلة حيث تصبح الحياة تجاوزاً ذاتياً للمحبة.الميزة الثورية **المحرِّرة** نفسها موجودة، بداعي الضرورة، في الألم الذي يشكّل انتهاكاً لمعنى الحياة **«كبقاء شخصي»** و **«تقدمة ذاتية من المحبة لإخوتنا البشر»**. إن طريقة الوجود الفردية تتحوّل إلى شركة شخصية من المحبة من خلال النسك. لهذا السبب ربطت الأرثوذكسية بالنسك الطوعي معتبرة التجارب **«عذاب الضمير»**.

اللقاء المحرّر بين غير المخلوق والمخلوق يتم من خلال أسرار الكنيسة المقدّسة

إن انتهاك الطبيعة موجود في كليهما لكي **يُفعّل** شركة المحبة. إن الروحانية الأرثوذكسية هي بالتحديد هذا الصراع من أجل هذا اللقاء المحرِّر بين غير المخلوق والمخلوق. في أي حال، لا يستطيع أي إنسان أن **«يعرف»** غير المخلوق بالمنطق بل بالأحرى من خلال وجود غير المخلوق في المخلوق وسكناه فيه. إن غاية التقليد الأرثوذكسي هي دفع الإنسان في الاتحاد مع الله أي **التألّه**. تتطلّب هذه الغاية مسبقاً وجود أداة هي القلب. نحن نقبل عادةً أن جريان الدم في جسمنا هو الهدف الوحيد للقلب، وبالتالي نعتبر الدماغ والجهاز العصبي هما مركز إدراكنا لذواتنا. مع ذلك، في التقليد المسيحي الصحيح، القلب هو مكان الشركة مع الله. يسمي الآباء قوة النفس التي تنشط في القلب **«فكراً»**. الفكر، في هذه الحالة، لا يساوي المنطق. وفوق هذا، يُسمّى الفكر أيضاً صلاة القلب (الصلاة العقلية) التي تكمن في تنشيط الفكر في القلب. تصبح هذه الوظيفة الصلاتية بلا انقطاع (١تسالونيكي ٥:١٧) عندما يتطهّر القلب ويحصل على نعمة الروح القدس. إن سكون القدرة النوسية (لا المنطق) هو جوهر سقوط الإنسان. إن عدم العمل أو العمل الجزئي لهذه القدرة الفكرية، وتشوشها مع وظيفة العقل أو الجسد، يستعبد الإنسان في الإجهاد والجو والمادية مركِّزاً اهتمامه على جسده. بهذه الطريقة، يعبد الإنسان الخليقة دون الخالق، والنتيجة المباشرة **هي تفكيك أصالة علاقاته الفردانية، المواقف العدائية في المجتمع، تأليه الذات وعبادتها واستغلال الله والناس لتأمين السلامة الذاتية والسعادة**. بعد

تعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم ، وذلك من خلال مفاعيل الروح القدس

شفاء مرض القلب يعود الإنسان إلى اجتماعيته الصحيحة. يكتسب القلب النقي إستنارة الروح القدس. في هذه المرحلة، تصبح محبة الإنسان لذاته محبة منكرة للذات من الله. بدون الاستنارة من الله لا تستطيع محبتنا أن تتخطّى موقفنا الأناني ونقصنا. تبقى محبتنا ناقصة وزائفة. بالاستنارة يصبح الإنسان هيكلاً للروح القدس معافى وروحياً. في المصطلحات اللاهوتية الأرثوذكسية تُسمّى عملية إعادة تفعيل الوظيفة النوسيّة في القلب «شفاء الوجود البشري» وهي عمل الكنيسة الأساسي. إن هذا هو غاية حضور الكنيسة في التاريخ كما أعطاه المسيح: استرجاع الشركة بين الله والإنسان في القلب. في الأرثوذكسية، لا يؤجَّل الشفاء، أي استعادة علاقات الله بالإنسان إلى ما كانت عليه، إلى الحياة الآتية أي بعد الموت. إن الشفاء يُنجَز في التاريخ. المؤمن، من خلال وجود عمل الله في داخله، يصبح **«هيكلاً لله»** ويمتلك الأبدية ضمن الحقيقة الأرضية فيعيش في ما بعد التاريخ كما في التاريخ. إنه يصير إنساناً سماوياً كالقديسين. القديس، بحسب الأرثوذكسية، هو الإنسان الحقيقي القادر على خلق شركة من الأخوّة والعدالة. إن غاية التقليد الأرثوذكسي النهائية ليست الإجلال الأناني للشخص البشري، بل إعادة الشركة الأصيلة إلى ما كانت عليه مع البشر الآخرين.

بحسب **القديس اسحق السرياني**، يبلغ كل القديسين الكمال عندما يصبحون كاملين ومتمثلين بالله بمحبتهم وخيريتهم المتدفقتين نحو الجميع. لا يوجد أرثوذكسية فردية ولا خلاص فردي. في آخر المطاف، الخلاص هو الدخول الكامل في مجتمع الإخوّة. وهذا ينطبق على كل الناس بدون استثناء.إن الفرق بين الأرثوذكسية والأنظمة العلمانية هو أن هذه الأنظمة تحاول أن تخلق مجتمعاً. فيما نحن نكافح لإدخال أنفسنا في مجتمع الثالوث المُلهَم، في جسد المسيح. هذا المجتمع بطبيعته هو الأخوّة المتلألئة التي لا طبقات اجتماعية فيها (غلاطية٣:٢٨).في الأرثوذكسية، هذه الحياة هي حقيقة إلى يومنا هذا في الأديار، بالرغم من كل النواقص البشرية. هناك تكون الحياة بكاملها في نعمة الله حيث المساندة المتبادلة، انعدام القنية بوجود الملكية الجماعية، ومشاركة المحبة فيما كل واحد يعمل بحسب موهبته وقدرته ويتنعّم بحسب

الدير هو أنقى مثال للشركة في الأرثوذكسية وقد أثّر بشكل كبير في تشكّل المجتمع الأرثوذكسي تاريخياً، أي المجتمعات القروية والمدينية.

حاجاته. وهكذا، ينتفي كل شك بالاستغلال أو المبالغة بالتقدير، لأن الربح ليس الهدف. فالهدف هو الخدمة والمساندة المتبادلين.

الدير هو أنقى مثال للشركة في الأرثوذكسية وقد أثّر بشكل كبير في تشكّل المجتمع الأرثوذكسي تاريخياً، أي المجتمعات القروية والمدينية. إن حياتنا المتغرّبة والمتعلمنة تعكس بالضبط تراجعنا عن ذلك المثال وتبنّينا لطرق تنظيم المجتمع الغريبة عن الأرثوذكسية وثقافتها. فهذه الثقافة مختلفة كلياً عن تلك الغربية. هذا سببه أن مثالها، في بعده الاجتماعي، ليس السعادة والمصلحة الفرديتين بل التكافل في «**توزيع البؤس بالتساوي**».قد يفكّر البعض، وهذا ما أشهده كثيراً في أوروبا الغربية، بأن هذا المثال الاجتماعي مرتبط بالماركسية. لا إطلاقاً! فالماركسية، على غرار غيرها من الأنظمة الاجتماعية، تركّز على البنى الداخلية والعلاقات.

تبدأ الأرثوذكسية من الأعماق الروحية للإنسان لتستعيد صورة الله داخله بهدف تفعيل المجتمع البشري ليعكس طريقة وجود الثالوث. وهكذا، لا يكون الفرد ضحية للمسيح من أجل الخير العام بينما الخير العام يكون مصلحة الشخص الخاصة. إن اهتمام الإنسان الأرثوذكسي ليس محصوراً في الزمن بل هو موجّه بشكل دائم نحو الأبدية. هذا يعبّر عنه الرسول بولس «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس» (١كورنثوس١٥:١٩).

لا ترغب الأرثوذكسية في أن تكون جماعة دينية للخدمات الخيرية، ولا هي منظمة بشرية تكافح فقط من أجل السلام على الأرض والتعايش بين الأمم. تبتغي الأرثوذكسية أن تكون، قبل كل شيء، جسد المسيح، أي مختبر خلاص لشفاء الكيان البشري، وهذا شرط مسبَق لتنمية الإنسان على حدود الشركة الأصيلة مع الله والعالم. إلى هذا، لا يوجد في الأرثوذكسية عملية تطورية بمعنى التغير المستمر.

إن محور سلوكنا هو المسيح بلا تغيّر. **فالمسيح يبقى المركز المُطلَق ونقطة المرجعية للشعب الأرثوذكسي في كل الأزمنة**. المسيح يؤمّن وحدتنا عبر الزمن بوجوده في داخلنا. إن عمله غير المخلوق يوحّد، في البعد الأفقي كما في العمودي، كل الشعب المؤمن عبر التاريخ ويتمّم وحدتهم، ليس كخضوع تحت معايير محددة للعيش والتصرّف، بل كحياة ناتجة عن وجوده في داخل نفوسهم. ■

كلمات متناثرة

* إذا أردت أن ترى صورة بارزة تمثّل لك رداءة معظم العالم فانظر إلى الرَجُل الطيّب وكيف يسيئه الناس.

* أفظع المناظر التي تؤلم النفس الطيّبة رؤية اللئيم وسعيه في أذى الغير سعياً متواصلاً.

* قال الفيلسوف أنتيثينوس :(نسيان الشرّ أنفع للإنسان). وسُئل (ما الذي ينبغي طلبه في الدنيا فأجاب موت الإنسان سعيداً). وقال: لو خيّرت أن أكون غراباً أو حاسداً لاخترت أن أكون غراباً لأنّ الغربان لا تأكل إلاّ الميتة ، وأما الحسّاد فإنّهم يأكلون لحوم الأحياء.

خطاب في ميلاد سيّدتنا الفائقة القداسة، والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم

من الراهب والكاهن الوضيع يوحنّا الدمشقي

البهجة: قد إنتهى العجز الجَدّي.

١ ـ هلمّ يا جميع الأمم ويا أيّها البشر الذين من كلّ عرق وكلّ لغّة وكلّ جيل وكلّ منزلة، ولنعيّد ببهجة لميلاد بهجة العالم برمّته! فإذا ما كان اليونانيّون يَسْمُون بكافة أنواع التكريمات ـ وعبر العطايا التي استطاع كلّ منهم أن يقدّمها ـ ذكرى ميلاد الألوهيّات التي كانت تخدع الفكر بأساطير كاذبة وتُظلم الحقيقة، وذكرى ميلاد الملوك حتى ولو كانوا كارثة الوجود بأسره، فماذا ينبغي علينا نحن أن نفعل لتكريم ذكرى **ميلاد والدة الإله** التي بها تحوّلت الذريّة المائتة برمّتها وتبدّل **وَجَع حواء أمّنا** إلى فَرَح؟ فالواحدة قد سمعت في الواقع القضاء الإلهيّ [القائل]: «بالوجع تلدين البنين» (تك٣:١٦؛ لو١:٢٨)، والأخرى: «إفرحي يا ممتلئة نعمة». الأولى: «إلى زوجك يكون اشتياقك»، وهذه «الربّ معك». أيّة إشادة إذاً نقدّمها إلى أمّ «**الكلمة**»، إلا كلمتنا؟ فلتعيّد الخليقة بأسرها ولتقرّظ الولادة المقدّسة لأمرأة قدّيسة، لأنّها قد ولدت للعالم كنزاً لا يبلى من الخيرات، وبها نقل الخالق كلّ طبيعة إلى حالة فضلى بوساطة الإنسانيّة. لأنّه إذا كان الإنسان الذي يتوسّط الفكر والمادّة صلة كلّ الخليقة المنظورة وغير المنظورة، فكلمة اللّه الخالق باتّحاده بالطبيعة الإنسانيّة، قد إتّحد بواسطتها بالخليقة كلّها. هكذا فلنعيّد لزوال العقر البشريّ إذ قد إنتهى بالنسبة إلينا **العجز** الذي كان يعيق إمتلاك الخيرات.

ولادة مدهشة تمهّد للتجسّد:

٢ ـ ولكن لماذا وُلدت العذراء الأم من إمرأة عاقر؟ لما هو وحده جديد تحت الشمس (أنظر جامعة ١:٩) ولتتويج العجائب، كان ينبغي أن تمهَّد السبُل بالعجائب، ومن الحقائق الأكثر ضعة كان ينبغي أن تبرز ببطء [الحقائق] الأكثر عظمة. الطبيعة قد تركت النعمة تسير أمامها، لقد توقّفت مرتعدة ولم تُرد أن تكون الأولى. فلمّا كان على العذراء والدة الإله أن تولد من حنّة. لم تجرىء الطبيعة من ثمّ أن تتقدّم على ثمر النعمة، لكنّها مكثت دون ثمر إلى أن حملت النعمة ثمرها. كان يجب أن تكون بكراً، تلك التي كان عليها أن تلد «بكر كلّ الخليقة» والذي فيه «يثبت كلّ شيء» (كولوسي ١:١٥،١٧).

أيا يواكيم وحنّة الزوجان المغبوطان! كلّ الخليقة مدينة لكما؛ فبكما قدّمت إلى الخالق عطيّة كلّ العطايا والأكثر سموّاً، أُمّاً مكرَّمة هي وحدها أهل لذاك الذي خلقها! مغبوط **حَقَو** يواكيم الذي منه برزت نطفةٌ لا دنس فيها بالكليّة، وعجيبٌ حشا حنّة الذي بفضله نمت ببطىء وفيه تكوّنت ومنه ولدت طفلة كليّة القداسة! يا للأحشاء التي حملت سماءً حيّة أرحب من ضخامة السماوات! يا للبيدر الذي تكوّمت فيه الحنطة المحيية حسبما صرّح المسيح نفسه [قائلاً]: «إن لم تقع حبّة الحنطة في الأرض وتمت، فهي تبقى وحدها» (يو١٢:٢٤). يا للصدر الذي أرضع تلك التي غذّت مغذّي العالم! إنّها لعجيبة العجائب، وتناقض التناقضات! أجل، كان ينبغي لتَجسّد اللّه الذي لا يُفَسَّر في غمرة تنازله أن تسبقه هذه العجائب. وَلكن، كيف المتابعة؟ ففكري هو خارج ذاته، وأنا يتنازعني الخوف والحبّ. قلبي يخفق ولساني يرتعش: إنّي لا أستطيع إحتمال الفرح؛ العجائب تغمرني والحميّة الهائمة تأسرني بفورة إلهيّة. فليتغلّب الحبّ، وليُخل الخوفُ المكان، ولتنشد قيثارة الروح: «لتفرح السماوات، وتبتهج الأرض!» (مز٩٥:١١).

ولادة مريم تهيىء تقرّب اللّه من البشريّة:

٣ ـ اليوم تنفتح أبواب العقر، وباب عذريّ وإلهيّ يتقدّم: فمن خلالها وبها، ينبغي على اللّه الذي يسمو على جميع الكائنات

أن «يأتي إلى العالم» (عب١:٦) ، «جسدياً» (كولوسي ٢:٩)، حسب عبارة بولس المستمع إلى الأسرار التي لا يُنطق بها(أنظر ٢كو١٢:٤). اليوم «خرج قضيب من جذع يسّى» (أشعيا ١١:١)، والذي ستبرز منه للعالم زهرة متّحدة بالألوهيّة جوهريّاً.

اليوم إنطلاقاً من الطبيعة الأرضيّة قد تكوّنت سماء على الأرض، بواسطة ذاك الذي جمّد الجلد قديماً بفصله عن المياه ورفعه إلى الأعالي (تلميح إلى تك١:٦-٨). سماء هي في الحقيقة أكثر تألّهاً وأكثر إدهاشاً من الأولى: لأنّ الذي خلق الشمس في الأولى قد أشرق هو نفسه من هذه السماء الجديدة على أنّه شمس العدل. أجل، توجد فيه طبيعتان على الرغم من جنون العديميّ الرأس، وأقنوم واحد مهما كان غضب النساطرة*! فالنّور الأبديّ البارز من النّور الأبديّ قبل الدهور ، والكائن اللاّهيوليّ واللاّمتجسد، قد إتخذ جسداً من هذه المرأة، وكمثل ختن يتقدّم خارجاً من خدر العرس ، كونه إلهاً وصائراً من ثمّ إبناً للنسل الأرضيّ. إنّه كجبّار يبتهج بقطع ميدان طبيعتنا (مز١٨:٦)، وتقدّمه بآلامه نحو الموت، وتقييده الرجل القويّ وسلبه ماله (متى١٢:٢٩)، أي طبيعتنا، وإعادة الخروف الضّال إلى الأرض السماويّة (متى١٨:١٢).

سلّم يعقوب

اليوم «إبن النجّار» (متى ١٣:٥٥)، وهو الكلمة الفاعلة كونيّاً لمن قد أنشأ به كلّ شيء وذراعُ اللّه العليّ القديرة، بشحذه بالروح الذي هو كإصبعه فأسَ الطبيعة المنهَكة، قد أنشأ له سلّماً حيّة نصبت قاعدتها في الأرض وارتفع رأسها نحو السماء ؛ عليها يستريح اللّه، وهي التي تأمّل يعقوب صورتها (تك٢٨:١٢). بها نزل اللّه في ثباته، أو بالحريّ إنحنى بتنازل، و[من ثمّ] «تراءى على الأرض وتحادث مع البشر» (باروك٣:٣٨). لأنّ هذه الرموز إنّما تمثّل مجيئه إلى ها هنا، وانخفاضه المتنازل ، ووجوده الأرضيّ ، والمعرفة الحقيقيّة لذاته والتي أعطيت للذين على الأرض. السلّم الروحيّة، [أي] ،العذراء، قد نصبت في الأرض لأنّها إتخذت أصلها من الأرض، لكنّ رأسها قد إرتفع إلى السماء. فرأس كلّ إمرأة هو الرجل في الواقع، وأمّا بالنسبة إليها هي التي لم تعرف رجلاً، فاللّه الآب قد حلّ محلّ رأسها إذ قد عقد زواجاً بالروح القدس، وأرسل [من ثمّ] إبنه وكلمته، هذه القوّة الكليّة القدرة، كمثل بذار إلهيّ وروحيّ. وبمقتضى رغبة الآب، لم يتجسّد الكلمة ويسكن في ما بيننا البتّة عبر إتّحاد طبيعيّ، بل بما يفوق نواميس الطبيعة: من الروح القدس والعذراء مريم، وذلك لأنّ إتّحاد اللّه مع البشر إنّما يتمّ بالروح القدس؛ «فمن إستطاع أن يفهم فليفهم» (متى١٩:١٢).«ومن له أذنان للسمع فليسمع» (لو٨:٨). ولنستبعد التصوّرات الجسديّة إذ إنّ الألوهيّة لا تعتريها تغيّرات البتّة، أيّها البشر! فالذي ولد إبنه للمرّة الأولى بحسب الطبيعة دون فساد، يلد الإبن عينه من جديد بحسب التدبير دون فساد. ويشهد على ذلك كلام داود جدّ الإله: «الربّ قال لي: أنت إبني وأنا اليوم ولدتك» (مز٢:٧). والحال أنّ «**اليوم**» لا مكان له البتّة في التولّد الذي قبل الدهور والذي هو خارج الزمن.

فرح شامل: اللّه معنا

٤ ـ اليوم نُصب الباب الشرقيّ الذي سيعطي المسيح «دخولاً وخروجاً»، وهذا الباب يكون مغلقاً (حز٤٤:٢،٣). فيه يكون المسيح «باب الخراف»، والذي إسمه المشرق (زك٦:١٢)، وبه توصّلنا إلى الآب مبدأ النّور. اليوم هبّت النسمات المبشّرة بفرح شامل، فلتتهلّل السماء في الأعالي، و«لتبتهج الأرض» من تحتها، وليهتزّ بحر العالم (مز٩٥:١١)! لأنّ فيه قد حصلت ولادة صَدَفة (محارة)، تلك التي ستحبل في حشاها بشعاع الألوهيّة السماويّ، وستلد المسيح اللؤلؤة التي لا تُقدّر بثمن. منها سيخرج «ملك المجد» (مز٢٣:٧) متردياً بُرفيرة الجسد، فيزور «المأسورين» وينادي «بالحريّة» (أش ٦١:١ ؛ لو٤:١٨). فلتطفر الطبيعة بالفرح: إذ ها هي **الرخلة (الرخلة هي أنثى الحَمَل)** تأتي إلى العالم، والتي بفضلها سيرتدي الراعي الخروفَ ويمزّق أقمصة الميتوتة القديمة. ولتشكّل البتوليّة جوقاتها للرقص، لأنّ البتول قد وُلدت، تلك التي بحسب أشعياء «ستحبل وتلد إبناً يدعى عمانوئيل، أي اللّه معنا» (أش ٧:١٤ ؛ متى١:٢٣). تلقّنوا أيّها النساطرة واعترفوا بإخفاقكم؛ «إنّ اللّه معنا!» ، وليس إنسان ولا رسول بل هو الربّ بشخصه الذي سيأتي ويخلّصنا. «تبارك الآتي بسم الربّ»، «الربّ هو اللّه وقد أنارنا» (مز١١٧:٢٦،٢٧). فلنعيّد لميلاد والدة الإله. إفرحي يا حنّة « العاقر التي لا تلد، واهتفي بالفرح والبهجة يا من لم تعرف أوجاع الولادة» (أش٥٤:١)! وافرح يا يواكيم، لأن

* النساطرة: هم تبّاع نسطوريوس الذي قال إن للمسيح أقنومين وإن العذراء مريم بالتالي هي والدة المسيح الإنسان فقط وليست والدة الإله. وقد دحض مزاعمه المجمع المسكوني الثالث في أفسس سنة ٤٣١ بجدارة القديس كيرللس رئيس أساقفة الإسكندريّة الذي خطّ بيده باللغة اليونانيّة أنّ العذراء مريم هي **ثيوطوكوس أي والدة الألله**.

القديسان يواكيم وحنّة ووالدة الإله
كنيسة خورا للروم الأرثوذكس في مدينة القسطنطينيّة

من إبنتك «قد وُلد لنا وَلد وأعطي لنا ابنٌ، وسيعطى هذا الإسم: رسول الرأي العظيم» ـ [رسول] خلاص العالم ـ «والإله القدير» (أش ٩:٥). فليخجل نسطوريوس [إذاً] وليضع يده على فمه. الطفل هو اللّه، فكيف لا تكون من ثمّ والدة الإله، تلك التي وضعته في العالم؟ وأذا كان أحد لا يعترف بالعذراء القدّيسة على أنّها والدة الإله، فهو مفصول عن الألوهيّة (القديس غريغوريوس النزينزي، الرسالة ١٠١). الكلام ليس مني، بيد أنّه يخصّني: فلقد تلقيته كإرث لاهوتيّ ثمين من أبي ، غريغوريوس اللاهوتيّ.

البتوليّة ستنتج ثمر الخلاص.

٥ ـ أيا يواكيم وحنّة، إنّكما لزوجان مغبوطان وبلا عيب حقّاً! فمن ثمر حشاكما عُرفتما حسب كلمة الربّ «من ثمارهم تعرفونهم» (متى ٧:١٦)، وسلوككما كان مقبولاً لدى اللّه وأهلاً لتلك التي وُلدت منكما. وكونكما عشتما عيشة عفيفة ومقدّسة ، فقد أنتجتما حلية البتوليّة، تلك التي ستلبث عذراء قبل الولادة ، وعذراء في الولادة ، وعذراء بعد الولادة، التي هي وحدها دائمة البتوليّة بالفكر والنفس والجسد. وكان يليق في الواقع بالبتوليّة الصادرة من العفّة أن تنجب النّور الوحيد وحده جسدياً، بعطف ذاك الذي ولده بدون جسد ـ فهو الكائن الذي لا يلد، ولكنّه المولود على الدوام والذي ميزته الأقنوميّة الوحيدة هي في أن يكون مولوداً. آه! كم من العجائب وأيّة تحالفات في هذه الطفلة الصغيرة! فهي إبنة العقر والبتوليّة التي لا تلد، بها ستتّحد الألوهيّة والإنسانيّة، الألم واللاّهوى، الحياة والموت، حتى أنّ الأقل كمالاً في كلّ شيء ينغلب بالأفضل! وهذا كلّه لأجل خلاصي أيّها المعلّم! فقد أحببتني حتى أنّك لم تنجز هذا الخلاص بواسطة الملائكة، ولا بواسطة أيّة خليقة، بل كمثل خلقي الأوّل، هكذا تجدُّدي كان عملَك الخاصّ. وهكذا أبتهج وأطلق إفتخاري وفرحي وأعود إلى ينبوع العجائب. وإذ قد أسكرني سيل البهجة أضرب من جديد على قيثارة الروح وأشدو بترنيمة الميلاد الإلهيّة.

النعمة تتجاوز الطبيعة: قد بدأ خلاص العالم.

٦ ـ أيا يواكيم وحنّة، إنّكما لزوجان جزيلا العفّة ، «وزوجا يمام» بالمعنى السريّ ! ففي حفظكما لناموس الطبيعة، [أي] العفّة، إستحققتما الهبات التي تفوق الطبيعة: ولدتما للعالم أمّاً للإله بغير رَجُل. وبعد حياة تقيّة ومقدّسة في طبيعة بشريّة، ولدتما إبنة أرفع من الملائكة وهي الآن تملك على الملائكة. فيا ابنة جزيلة اللطف وجزيلة العذوبة، يا سوسنة متفتّحة بين الشوك (نشيد ٢:١،٢) ، من جذر داود الكليّ النُبل والمَلَكيّة! بك اغتنت المَلكيّة بالكهنوت. بك تمّ «تحوّل النّاموس» (عب٧:١٢). وانكشف الروح المستتر تحت الحرف، لأنّ الكرامة الكهنوتيّة قد انتقلت من سبط لاوي إلى سبط داود. أيّتها الوردة البازغة من [بين] الأشواك اليهوديّة ، والتي ملأت العالم بطيب إلهيّ! يا ابنة آدم وأم اللّه! مغبوطة الأحضان والحشا التي منها برزت! مغبوطة الأذرع التي حملتك والشفاه التي تذوّقت قبلاتك العفيفة ـ وهي شفاه والديك وحدها، حتى أنّك تكونين دائمة البتوليّة في كلّ شيء.

اليوم بدء خلاص العالم؛ «فاهتفوا للربّ يا جميع الأرض، غنّوا وابتهجوا ورتّلوا!» (مز٩٧:٤). إرفعوا صوتكم، «إرفعوه ولا تخافوا» (أش٤٠:٩). لأن في البركة المقدّسة قد وُلدت لنا أمّ للإله، التي فيها ارتضى أن يولد حمل اللّه الرافع خطيئة العالم.

الخروج: جبل الله ، الخيمة

اطفري بالفرح أيّتها الجبال ـ الطبائع العقليّة الجادّة نحو ذروة التأمّل الروحيّ (مز١١٣:٤) ؛ فها إنّ جبل الربّ الباهرَ تأتي إلى العالم، هي التي تفوق وتعلو كلّ تلّ وكلّ جبل، أي علوّ الملائكة والبشر ؛ منها قد ارتضى المسيح أن يُقتطع دون تدخّل يد بشريّة، هو حجر الزاوية، هذا الأقنوم الوحيد الذي يقرّب ما هو متباعد: الألوهيّة والإنسانيّة ، الملائكة والبشر ؛ ويجمع الأمم وإسرائيل الذي بحسب الجسد في إسرائيل واحد روحيّ. «جبل اللّه، جبل خصيب، جبل مسنّم، جبل خصيب، الجبل الذي ارتضاه اللّه مقاماً له» ، «ألوف هي مركبات اللّه، مع كائنات مزهوة» (مز٦٧: ١٨،١٧). بالنعمة الإلهيّة، الشيروبيم والسيرافيم. أيّتها القمة الأقدس من سيناء ، والتي لا يُغطّيها دخان ولا ظلمة ولا عاصفة ولا نار رهيبة ، بل اللمعان المنير الذي للروح الكليّ قدسه. هناك حفر كلمة اللّه الشريعة على ألواح حجريّة بواسطة الروح، هذا الإصبع الإلهيّ ؛ وهنا ، بفعل الروح القدس وبدم مريم ، تجسّد الكلمة نفسه وأعطى ذاته لطبيعتنا كعلاج للخلاص أكثر فعّالية. هناك كان المنّ ، وهنا الذي أعطى المنّ وعذوبته.

فليندثر من أمام مسكن اللّه الحيّ الروحيّ ، المسكن الشهير الذي شيّده موسى في البريّة بأدوات ثمينة من كلّ نوع ، وقبله مسكنُ أبينا إبراهيم. فالمسكن [الحالي] حصل مقاماً ، ليس فقط للطاقة الإلهيّة وحدها ، بل لأقنوم الإبن الذي هو اللّه والحاضر جوهرياً. وليعترف التابوت المغشيّ بالذهب بكليّته أنّ ما من شيء لديه يُقارن بها ؛ وكذلك جرّة المنّ الذهبيّة ، والشمعدان، والمائدة وكافة الأدوات في العبادة القديمة: فقد كرّمت [هذه الأدوات كلها] لأنّها كانت تسبق فترمز إليها كمثل ظلال للمثال الحقيقيّ.

يتبع في العدد القادم

آباء الكنيسة العظام
باسيليوس الكبير، يوحنا الذهبيّ الفم وغريغوريوس اللاهوتي

✚ - إن كان اللّه معنا فمن علينا ... مَن سيفصلنا عن محبّة المسيح ؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُري أم خطر أم سيف ؟ كما هم مكتوب: «إنّنا من أجلك نمات كلّ النهار قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكنّنا في هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذي أحبّنا فإنّي متيقن أنّه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة. ولا علوّ ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبّة اللّه التي في المسيح يسوع ربّنا» (رو٨: ٣١، ٣٥-٣٩).

يقول القديس إيريناؤس في هذه الآية:

* تعبير «كل النهار» يعني كل الزمان الذي فيه نحتمل إضطهادات ونُذبح فيه كغنم .. لا يعني أيضاً أربعة وعشرون ساعة إنما كلّ الزمان الذي فيه يتألّم المؤمنون في المسيح ويموتون لأجله.

✚ «فرحين في الرجاء ، صابرين في الضيق ، مواظبين على الصلاة» (رو١٢: ١٢).

يقول المغبوط أغسطينوس في هذه الآية:

* «لنفرح ونبتهج في الرجاء حتى وإن كان الحاضر حياة لا تُحب وإنما تحتمل إذ تكون لك القوّة على إحتمال تجاربها ...

✚ «فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضي أنفسنا. فليُرضِ كل واحد منّا قريبه للخير لأجل البنيان» (رو١٥: ١-٢).

يقول المغبوط أغسطينوس في هذه الآية:

* يحتمل الأقوياء الضعفاء فيتزكّون على عظيم محبّتهم وأيضاً يمتثل الضعفاء بالأقوياء دون حسد فينمون على الدوام ونتعب عاملين بأيدينا «نُشتَم فنُبارك نُضطهد فَنحتمل. يفترى علينا فنعظ. صرنا كأقذار العالم ووسخ كلّ شيء إلى الآن» (كو٤: ١٢، ١٣).

✚ «إن كان آخرون شركاء في السلطان عليكم ، أفلسنا نحن بالأولى ؟ لكنّنا لم نستعمل هذا السلطان ، بل نحتمل كلّ شيء لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح» (١كو٩: ١٢).

يقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم عن هذه الآية:

* الآخرون الشركاء في السلطان ... هؤلاء دخلوا على تعب الرسول بولس الذي إحتمل الميتات كلّ النهار لأجلهم وقَبِلَ الفقر والجوع والعطش والعري ، بل الإهتمامات الباطلة لأجل إقامة هذه الكنيسة التي في كورنثوس ؛ فهو أولى منهم في تمتّعه بحقّه حتى لو كانوا شركاء ورُسل حقيقيين ... ومع ذلك فمن أجل إنجيل المسيح يتنازل عن حقّه ويحتمل ، حتى يستطيع أن يجتذب قلوب الكلّ إلى الإنجيل.

✚ «لم تصبكم تجربة إلاّ بشريّة. ولكن اللّه أمين ، الذي لا يدعكم تجرّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو١٠: ١٣).

✚ «المحبّة تحتمل كلّ شيء ، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتصبر على كلّ شيء.المحبّة لا تسقط أبداً»(١كو١٣: ٧، ٨) .

يقول المغبوط أغسطينوس في هذه الآية:

* «كلّما إقتنى الإنسان حبّاً للّه أكثر يقدر أن يحتمل كل شيء من أجله».

✚ «مباركٌ اللّه أبو ربّنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كلّ تعزية الذي يعزّينا في كل ضيقتنا حتى نستطيع أن نعزّي الذين هم في كلّ ضيقة بالتعزية التي نتعزّى نحن بها من اللّه. لأنّه كما تكثر آلام المسيح فينا. كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً. فإن كنّا نتضايق فلأجل تعزيتكم وخلاصكم العامل **في إحتمال** نفس الآلام التي نتألّم بها نحن أيضاً أو نتعزّى فلأجل تعزيتكم وخلاصكم. فرجاؤنا من أجلكم ثابت عالمين إنّكم كما أنتم شركاء في الآلام. كذلك في التعزية أيضاً. فإنّنا لا نريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أنّنا تثقّلنا جداً فوق الطاقة ، حتى أيسنا من الحياة. لكن كان لنا في أنفسنا حُكم الموت. لكي لا نكون متّكلين على أنفسنا بل على اللّه الذي يُقيم الأموات. الذي نجّانا من موت مثل هذا. وهو ينجّي. الذي لنا رجاء فيه أنّه سينجّي أيضاً فيما بعدُ» (٢كو١: ٣-١٠).

يقول ثيؤدورت أسقف كورش في هذه الآية:

* «واضح أنّ ما تعرّض له الرسول فوق إحتمال البشر حتى يَئِسَ هو ومن معه من الحياة. ويبدو أنّ الرسول تعرّض لضيقة شَديدة جداً قُبَيْل كتابة رسالته هذه لم ترد في تاريخه ، وكان أهلُ كورنثوس على علم بها ... أظنّ أنا بولس يُشير هنا إلى الشَغَب الذي أثاره ديمتريوس الصانع للفضّة (أع١٩) أو محاولة اليهود قتله (أع٢٠: ٣) ... إلخ

يتبع في العدد القادم

الملائكة و الشياطين

م. باسيليك شلينك

تتمة من العدد السابق

الفصل الثالث

الصراع في الحاضر مع الشيطان

ودعنا الآن نقدّم للقارىء بعض الوقائع الحقيقيّة، والشواهد على ذلك.

وهذا مثلٌ من الهند ..

في مبنى إحدى الإرساليات المسيحيّة في بلاد الهند، وقف رجل في الرواق الخارجي ، أو مدخل الإرساليّة، وتنحنح علامة على أنّه يريد أن يتحدّث إلى المرسل. وخرج المرسل إليه فابتدره بصوت مضطرب.

«سيّدي إنّ الأحجار تتساقط علينا في قلب البيت ـ أحجار العفاريت ـ في كل مساء بعد غروب الشمس يبدأ هذا الشيء. ونحن نغلق الأبواب، والنوافذ، ومع ذلك تظل الأحجار تتساقط علينا منذ أسبوعين يحدث هذا كل مساء. ولا نجد الراحة، من فضلك تعال وأعنّا !».

ولقد كان الرجل معروفاً للمرسل ، فقد كان أحد المبشرين الوطنيين الذين ينتمون للمرسلية .... وذهب المرسل مع المبشّر قرب ساعة الغروب وجلس معه في الغرفة بعد أن أحكَمَ إغلاق النّافذة ، وفجأة سقط حجر ، ثمّ آخر ، وآخر، من أين تأتي هذه الأحجار ؟ لا يمكن أن تكون من الخارج ، هل تسقط من السقف ؟ ولكن مَنْ أتى بها إلى الداخل ؟ وأحضر المرسل سلّماً ، وصعد عليه وفحص السقف ، كان السقف أسوداً من دخان الموقد ، ولو كانت الأحجار من السقف لأضحت سوداء من السنّاج ، ولكنّها أحجار بيضاء ! ولم يستطع المرسل الأبيض ـ الذي كان يزن كلّ شيء بميزان العلم ، وما كان يصدّق على الإطلاق مثل هذه الأمور ـ لم يستطع أن يجد تفسيراً لهذه الظاهرة ، ومع ذلك ها هو يراها تحدث أمامه كما رآها كثيرون غيره ...

الملاك ميخائيل يدوس الشيطان بقوة السيّد المسيح

وجمع المرسل أفراد الأسرة لصلاة المساء واختار موضعاً للتأمّل ما ورد في الإصحاح الأوّل من إنجيل مرقس حيث يرد قول يسوع بأنّه كان يُخرج الشياطين، وخلال فرصة العبادة لم يحدث شيء ، ولكن بعد نهايتها إبتدأت الأحجار تتساقط مرّة أخرى وانتهر المرسل الأرواح الشرّيرة بإسم يسوع ولكن دون جدوى.

ثمّ عاد إلى دار الإرساليّة مُثقل القلب ، ذلك لأنّه رأى وكأنّ المسيح ضعيف أمام قوّة الشيطان بينما لابدّ وأن ينتصر المسيح ، ولكن كيف؟. لابدّ أن يكون هناك شيء خاطىء في حياة ذلك المبشّر ممّا يُعطي الأرواح الشرّيرة المجال لتعمل في بيته ؟

وتحدّث المرسل في اليوم التالي معه ، عرفَ منه أنّ هناك عدم الأمانة في حياته بالنسبة لبعض الأمور الماليّة ، ممّا أعطى الشيطان الفرصة ليعمل في ذلك البيت وأمام هذه الحقيقة ، وتحت توبيخ الضمير تعهّد المبشّر بأن يصلح طرقه ... ويا للمعجزة التي حدثت لقد إنقطع سقوط الأحجار لمدّة أسبوع كامل.

ولكن بعد مرور ذلك الأسبوع ، عادت الأحجار إلى التساقط مرّة أخرى! ومن ذلك أصبح واضحاً ، أنّ هناك شيئاً وراء تلك الأحداث وما لم يكشف هذا الشيء، ويظهر للنّور ويُزال ، فإنّ **السحر** سيظلّ فعّالاً. والشيطان سيجد فرصته المناسبة ليعمل، تُرى ماذا هناك ؟

وبينما كان المرسل في طريقه إلى تلك القرية مرّة أخرى روى له أحد طالبي المعموديّة بينما كان يحمل له حاجيّاته ، أنّ الساكن السابق ، الذي كان يسكن منزل المبشّر قبل هذا التاريخ بعام ونصف عام ، قد طلب من ساحر قرية قريبة ، أن يأتي ويشفي له إبنه المريض ، وأنّه بعد أن قام الساحر بمراسيم السحر دُفنت أدوات السحر مع التمائم في مكان شرقي ذلك المنزل.

وفي ذلك المساء قام المرسل مع المبشّر ، بالبحث عن المكان ، ونُبِشَت الأرض ، وأكتشف «**العمل**» **الشيطَانيّ المدفون** ، وصلّى المرسل وأحرق أدوات السحر، ومنذ ذلك الحين ساد الهدوء في المنزل ، ولم تعُد الأحجار تتساقط بعد.

ولكن هذا لا يحدث فقط في بلاد وثنيّة كبلاد الهند ، ولكن في بلدان في الغرب تُدعى مسيحيّة ، إختبر كثيرون حقيقة قوّة الشيطان.

وها هي قصّة تروي عن إنسان إتّجه إلى الشيطان طالباً منه المعونة ، وماذا كانت النتيجة ؟ والقصّة حدثت في ألمانيا.

ولقد روى الرَجل الذي **أذّله** الشيطان قصّته هذه خلال حملة تبشيريّة قام بها أحد خدّام الدين، رواها أمام ذلك الخادم وأحد شيوخ الكنيسة ، وفي حضور أحد أقاربه ، ولقد كانت قصة غاية في الغرابة ..

ففي عام ١٩٣٦ كان يبحث عن عروس له وبعد أن خطب الفتاة ، لم يكن لديه ولا لعروسه المال الكافي لإيجار حتى مجرّد غرفة لهما ...

وفي إحدى الليالي ، وكان في الحانة التي يرتادها كلّ ليلة ، إلتقى بأحد الأشخاص ، وأسَرَّ إليه بحاجته القاسية،

ويبدو أنّ الرَجل كان من الذين يحضرون حلقات الإتصال بالأرواح الشرّيرة ، فقال له:

«إعقد صفقة مع الشيطان، واطلب منه خمسمائة مارك ، وَقَدِّم نفسك له في تعهّد»

ملاحظة هامّة

(إنّ جمعية نور المسيح لم تكتب تفاصيل هذا التعهّد لأنّ صورة هذا التعهّد قدّمها في السابق الكاتب الألماني جوته في مسرحيّته الشهيرة "مأساة فاوست" ويبدو أنّ ما صوّره الكاتب من نسج الخيال قد أغرى البعض بالفعل أن يتصلوا بالشيطان ويبيعوا أنفسهم له ، وفاوست طبيب إشتغل بالسحر ، وباع نفسه للشيطان بهذه الصورة تماماً.) (لذلك لم تُرد **جمعية نور المسيح** نشر صورة هذا التعهّد ... حفاظاً على نقاوة وسلامة فكر القارىء الكريم).

وتبع المسكين نصيحة صديق الخمارة ، بل صديق الشيطان.

وفي الغرفة التي كان يعيش فيها ، نفّذ بحماقة التعهّد المقوت ، وكتب طلباً للشيطان بمبلغ خمسمائة مارك ، ومَهَرَهُ بتعهّد بأن يبيع نفسه مقابل ذلك ... ثمّ أطفأ النور وتمّم بقيّة التعهّد المشؤوم.

ولم يغمض له جفن بطبيعة الحال !

وفجأة أحسّ بقشعريرة تسري في كيانه حينما شاهد في الظلام عينين حمراوين كجمرتين متّقدتين من نار تنظران إليه، ثمّ أحسّ بيد تمتد إلى المائدة التي في الغرفة ...

وهبّ الرجل فزعاً من فراشة وأضاء النور ، ولشدّة دهشته ورعبه شاهد رزمة من الأوراق الماليّة على المائدة تبلغ خمسمائة مارك بالتمام والكمال ..

أما ورقة التعهّد التي كتبها ووقّعها بيده ، فكانت قد إختفت ؛ وبدلاً منها وَجَدَ ورقة جديدة قد سُطّرت عليها هذه الكلمات:

«إنتظرني في مدخل القرية غداً في نصف الليل عند مفترق الطرق!» . ولم يَنَم الرَجل طيلة الليل ، ولكنّه قرّر ألاّ يذهب على الإطلاق.

ولكن حينما أتت الساعة في الليلة التالية أحسّ بدافع غريب يُلزمه بإطاعة الصوت ، فأتى بمسدّسه وحشاه بالطلقات ودسّه في جيبه وذهب إلى المكان في نصف الليل. وفي مفترق الطريق ، شاهد شبحاً رهيباً نصفه حيوان ونصفه إنسان ، وجُنّ جنون الرجل وأطلق عليه كلّ طلقات مسدّسه ، وسرعان ما اختفى الشبح من أمام عينيه.

والأمر الذي يحيّر في القصة أنّ الرجل ظلّت الأوراق المالية في حوزته: خمسمائة مارك بالتمام والكمال .!ولقد كان يظنّ أن صديق الخمّارة له يد في الموضوع وأنّه لابدّ وأن يرجع إليه مطالباً بالمبلغ. أما رآه ، فقد ظنّ أنه من هلوسة ذهنه ... ولكن أحداً لم يأتِ ويطلب منه شيئاً ...

ولم يجد «**العريس**» التعيس بُدّاً من أن يتزوّج! فدفع إيجار الغرفة ، وظنّ بأن أحواله قد إستقرّت بعد الزواج ، وأنّ الأمر إنتهى عند هذا الحدّ ... ولكنّه ما استطاع على الإطلاق أن يُزيح القلق الذي سيّطر عليه ، منذ أن إستلم ذلك المبلغ ...

في بعض الأحيان كان يتملّكه الرعب القاتل ، إذْ يحسّ وكأنّ زبانيّة الجحيم تتبعه ، وترصد عليه كلّ تصرفاته ، وحركاته.

وَعَلَتَ التجاعيد وجهه ، وتحوّل شعرَه إلى اللّون الأبيض ... وحينما تحدّث بإعترافاته هذا ، وكان لم يتجاوز بعد الثالثة والأربعين ، بدا وكأنّه في الخامسة والسبعين من العمر.

ولقد دام إعترافه هذا ساعتين ونصف الساعة ، وكان الخادم ومَن معه يروّعون بطرقات غريبة على زجاج النافذة ، ليست كصوت الريح على الإطلاق ... مع أنّ خشب النافذة كان مغلقاً ، أما الرَجل فلم يَنَل الراحة حتى بعد ذلك الإعتراف ... وظلّ طيلة عمره زائغ العينين مضطرب القلب يتملّكه الرعب القاتل ...

نعم ... إنّ في عالمنا أكثر من قصّة يمكن أن نرويها ، عن قوّة الشيطان ، وتأثير جنوده الأبالسة ، وحتى أولئك الذين لم يمارسوا السحر على الإطلاق ، ولكن حدث أنّهم سكنوا بيتاً كان يُمارَس السحر فيه ، واكتشفوا بأنّ ذلك فتح الطريق أمام الأرواح الشريرة ، بأن تسكن هناك وتجعل من البيت مركزاً لنشاطها ...

وهاك هذه الصورة وهذه القصة الغريبة :

يتبع في العدد القادم

إنّ كنتُ قلتُ لكم الأرضيّات ولستم تؤمنون ، فكيف تؤمنون إن قلتُ لكم السماويّات (يو٣:١٢)

نرى عالماً عظيماً مُحكم الصنع مُتقن النظام والترتيب من أصغر ذرّة فيه إلى أعظم جبل ، أليس هذا كلّه معناه وجود «الزارع الأوّل» مهندس الكون الأعظم ؟!

رحم الله من قال :

أنتَ لا تعرفُ إيّاكَ ولا	تدري مَن أنتَ ولا كيفَ الوصول
لا ولا تدري صفاتٍ رُكّبَت	فيكَ حارَت في خفاياها العقول
أنتَ أكلُ الخبزِ لا تعرفه	كيف يجري فيكَ أم كيف يحول
فإذا كانت طواياك التي	بين جنبيّك كذا فيها ضلول
كيفَ تدري مَن علَى العرش استوى	لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيفَ يحكي الرب أم كيف يرى	فلعمري ليسَ ذا إلاّ فضول
فهو لا أين ولا كيفَ له	وهو ربّ الكيف والكيف يحول
وهو فوق العقل لا فوق له	وهو في كل النواحي لا يزول
جلَّ ذاناَ وصفات وسما	وتعالى قدره عما تقول

العناية الإلهيّة، لا لعقيدة القضاء والقدر

للقديس يوحنا الدمشقي

للقديس يوحنا الدمشقي كلام سديد على العناية الإلهيّة يبحث بحثاً شاملاً دقيقاً هذه **المسألة المعضلة**، التي طالما أغرت الفلاسفة واللاهوتيين. ولقد أحسن إمام اللاهوتيين المدرسيين في بسطه القضيّة، عن سعة خاطر، وصدق نظر، بحيث لم يترك لمن بعده إلاّ أن يتراءى بآرائه ويترجم أفكاره. ونحن مترجمون خلاصة هذه القضيّة عن مجموعة للأب المحترم V. Ermoni عرض فيها صفوة من تعاليم ملفان الكنيسة الشرقية.

الخَلْق:

بما أنّ اللّه صالح وفائق الصلاح فما كان ليكتفي بمشاهدة نفسه، ولكنّه بجودته العظيمة شاء أن توجد خلائق تشترك بإحساناته وجودته، فأبرز من العَدَم إلى الوجود، وخلَقَ جميع الأشياء، الغير المنظورة والمنظورة، والإنسان المركّب من طبيعة منظورة، وطبيعة غير منظورة. إنّ اللّه يخلق بفكره: فهذا الفكر يؤلّف العمل الذي يكمّله الكلمة، وينهيه الروح القدس.

طبيعة العناية الإلهيّة:

هي إهتمام اللّه بالكائنات. أو هي إرادة اللّه التي بها تنال كل الكائنات إرشاداً ملائماً. فإن كانت إرادة اللّه هي العناية نفسها ينتج ضرورة أنّ كلّ ما يحدث هو مطابق للعقل الصحيح ويتمّ على أحسن وأنسب ما يكون، بحيث لا يمكن أن يكون أحسن مما هو عليه. إنّه من الضروري أن يكون خالق الأشياء هو نفسه المعتني بها، لأنّه لا يناسب ولا يُعقَل أن يكون خالق الأشياء غير الذي يعتني بها، وألاّ فالإثنان كلاهما عاجزان، الواحد عن الخَلق، والآخر عن العناية.

ولنا على ذلك برهانان: برهان أدبي وبرهان الميتفيسكي.

أ ـ البرهان الأدبي:

بما أنّ النفس خالدة، فلا بدّ من الجزاء للأعمال الشريرة والصالحة وإذا كان جزاء فلا بدّ من مدين ودائن. وإذا وُجدَ دائن ومدين، فلا بدّ من معتنٍ وعناية. وهكذا نصل إلى العنايَة التي يسلّم بها الجميع.

ب ـ البرهان الميتافيزيقيّ:

إنّ اللّه يمارس العناية، ويمارسها على طريقة عجيبة، ويمكن تأمّل ذلك هكذا: اللّه وحده صالح وحكيم من طبعه؛ فبما أنّه صالح، هو ذو عناية. لأنّ مَن لا عناية عنده لا يكون صالحاً، فالناس والحيوانات أنفسها تعتني بصغارها، وكلٌّ يلوم الخالي من العناية. وبما أنّه حكيم فهو يعتني جدّ العناية بالكائنات ليوجّهها إلى ما فيه خير لها.

القديس يوحنا الدمشقي - مجرى الذهب

العناية نوعان:

بين الأشياء الخاضعة للعناية بعضها يحدث بمسرّة اللّه وبعضها بمجرّد سماحه: فماذا يحدث بمسرّة اللّه هو ما لا جدال في صلاحه. أما السماح فعلى أنواع: كثيراً ما يسمح اللّه بوقوع الصدّيق في المحنة، لكي يجلي للغير فضيلته المستترة، كما حدث لأيوب. وأحياناً يسمح أن يُعمل ما هو حماقة ليتمّ بما يظهر حماقة أمراً عظيماً عجيباً، كما أتى بالصليب خلاص الناس. ومرّة يسمح بعذاب القدّيس حتى لا يسقط من ضميره المستقيم، أو لا يستكبر من قدرة النعمة التي منحها، كما حدث للقديس بولس الرسول.

الإرادتان:

يجب أن نعلم أنّ اللّه يريد بإرادة سابقة أن جميع الناس يخلصون، ويحوزون ملكوته. لم يخلقنا اللّه لأجل العقاب، بل لنشارك جودته لأنّه صالح. ثمّ أنّه يريد عقاب الخطأة لأنّه عادل. فالإرادة الأولى تسمّى إرادة سابقة ومسرّة وهي تصدر منه. والثانية تسمى إرادة لاحقة وسماحاً ونحن الباعثون لها. وهذه الأخيرة مثناة: إحداها تدبيريّة وتهذيبيّة قصد الخلاص، والثانية رفضيّة لأجل العقاب التام، كما أسلفنا، وذلك ليس في مقدورنا.

أ ـ اللّه لا يريد الشرّ لكنّه يسمح به:

بين الأشياء التي في مقدرتنا ، يريد اللّه الصالحة منها بإرادة وضعيّة ، وهو يقرّرها. أما الطالحة والشرّيرة حقّاً ، فلا يريدها بإرادة سابقة ، ولا لاحقة ، وإنما يسمح بها للإرادة الحرّة. لأنّ ما يُعمَل قَسراً ليس معقولاً ، ولا صالحاً.

ب ـ المعرفة والإنتخاب السابقان:

يجب أن نعلم أنّ اللّه سبَقَ فعرَفَ كلّ الأشياء ، غير أنّه ما سَبَقَ فحدّدها جميعاً. فهو يعلم سابقاً ما هو مقدورنا ، إلاّ أنّه يحدّده سابقاً. فلا يشاء أن يحدث الشرّ ، ولا يفسر الفضيلة. إن سابق التحديد هو من شأن النظام الإلهيّ المضاف إلى المعرفة السابقة. إنّه يحدّد تحديداً سابقاً، حسب معرفته السابقة ما ليس في مقدورنا. وقد حدّد كلّ الأشياء حسب معرفته السابقة تحديداً يُطابق جودته وعدله.

ج ـ اللّه والشـــرّ:

إعلم أن من عادة الكتاب المقدّس أن يسمي عملاً ما هو مجرّد سماح من اللّه، كقول الرسول إلى الرومانيين: «أليس للخزّاف سلطان على الطين فيصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وإناء آخر للهوان» (رو٩:٣١). فهو يصنع هذا وذاك ، لأنّه هو وحده بارىء الجميع. بيد أنّه ليس هو الذي يصنع الحسنات والسيّئات بل إختيار وحريّة كلّ واحد. وهذا ظاهر من قول الرسول عينه لتلميذه تيموثاوس: «لا تكون في بيت كبير آنية من ذهب وفضّة فقط ، بل من خشب وخزف أيضاً ؛ بعضها للكرامة وبعضها للهوان. فإن صانَ أحد نفسه طاهراً من هذه ، فإنّه يكون إناءً للكرامة ، مقدّساً أهلاً لاستعمال السيّد ، معدّاً لكل عمل صالح» (٢تي٢:٢٠-٢١). فمن الظاهر أنّ الواحد يتطهّر باختياره ، لأنّه يقول: إن صان أحد نفسه طاهراً ؛ وما يتبع منعكساً ، فهو الضد: إن كان أحد لا يصون نفسه طاهراً فإنّه يكون إناء للهوان ، غير أهل لاستعمال السيّد بل جدير بأن يحطّم. ولهذا فالكلام المورد وما يتبعه: «إنّ اللّه أغلق على الجميع في الكفر» وأيضاً «أعطاهم اللّه روح كلال عيوناً لا يبصرون بها ، وآذاناً لا يسمعون بها» لا يجب أن يُفهَم به أنّ اللّه هو نفسه فعل هذه الأشياء ، بل أنّ اللّه قد سمح بها ، لأنّ **الخير حرّ غير مقسور** فوَجَبَ إذن أن يكون الشرّ أيضاً. وتلك عادة الكتاب المقدّس أن يتكلّم عن سماح اللّه كأنّه عمله وفعله. أضف إلى هذا قوله «إنّ اللّه خالق الشرّ» (أش٤٥:٧)، «أيكون في المدينة شرّ ولم يفعله اللّه» (عا٣:٦). فلا يريد أن يقول إنّ اللّه علّة الشرّ بل يشير إلى أن كلمة شرّ لها معنيان: فمرّة تعني ما هو شرّ من طبعه ، أي ما يُضاد الفضيلة وإرادة اللّه ، وتارة يعني ما هو شرّ وصعب على شعورنا كالأحزان والنوائب. فهذه الأخيرة ولو ظهرت أنّها شرّ لأنّها مؤلمة ، غير أنّها جيّدة في الحقيقة ، لأنّها تفيد إرتداد وخلاص الذين يعرفون أن يستفيدوا منها ؛ فالكتاب يقول إنّها تأتي من اللّه. ـ ويجب أن نعلم أيضاً أنّنا نحن سبب هذه الأسواء. لأنّ الشرور غير الإراديّة تأتي من شرور إراديّة .ـ ويجب أن نعلم مع ذلك أن عادة الكتاب أن يتكلم عن بعض الحوادث التي يجب أن تدعى إتفاقيّة * كأن لها علّة كحين يقول: «إليك وحدك أخطأت والشرّ قدّامك صنعت لكي تصدق في أقوالك وتغلب في قضائك» (مز٥٠:٦). فلم يخطىء الخاطىء لكي يغلب اللّه ، وليس في اللّه حاجة إلى خطيئتنا ليظهر منتصراً. إنّه ينتصر بلا منازعة على جميع الشرّ حتى على الذين لم يخطأوا ، لأنّه الخالق غير المدرَك وغير المخلوق ولأنّ مجده طبيعيّ وليس حادثاً ؛ ولكن بما أنّه ، عندما نخطأ ، لا يكون ظالماً في غضبه ؛ وحين يغفر لمن يتوبون إليه فهو يظهر نفسه غالباً خُبثنا ، فلا نخطأ لأجل ذلك ، ولكن لأنّ الأمر يُعرض هكذا ، كحين ينصرف أحد إلى عمله ثمّ يأتي صديقه فيقول: صديقي أتى حتى لا أعمل اليوم ، مع أنّ صديقه لم يأت لكي يتعطّل هو ، ولكن الأمر حدث هكذا ، لأنّه بانشغاله بقبولهَ صديقه كفَّ عن العمل. فهذه الأشياء تسمّى إتفاقية لأنّها تعرض هكذا ، فاللّه لا يريد أن يكون هو وحده بارّاً ، بل يشاء أنّ جميع الناس يشابهونه قدر المستطاع.

* الإتّفاق:

الإتفاق يختلف عن **القَدَر الذي يحدّه الآخذون به: إنّه ما يقدّره اللّه من القضاء ويحكم به.**

وقد أورد القديس يوحنا الدمشقيّ تحديد الإتفاق فقال:

هو تصادف علّتين يكون مبدأهما في الإنتخاب فيأتيان بنتيجة غير التي تنتظر بالطبيعة. كمثل مَن يحفر بئراً فيجد فيها كنزاً. فليس الذي خبأ الكنز كان قصده أن يقع عليه غيره ، ولا الذي وجده حفَرَ البئر ليجد الكنز. ولكن قصد الأوّل كان أن يعود إلى الكنز حين يشاء ، وقصد الثاني أن يحفر ، فحدث خلاف ما كان يتوقّع الإثنان. ■

ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر

يتصوّر الإنسان المظلوم أنّ عين اللّه لا تُراقب ظُلمه ، كأنّه واقفٌ بعيداً ساكناً ، وهذا ما يملأنا مرارة ،تعاسة ، لأنّ الضيق لا يرعبنا ولا يخيفنا بمقدار إختفاء اللّه عنّا ، ولكن لنَتَعَزَّ لأنّ اللّه قريبٌ لكل الذين يدعونه ، وإن ظهر لنا بأنّنا عبَثاً نحاول الصراخ والخلاص من الضيق ، فلنَثق بأنّ يداً قادرة على كلّ شيء ترتفع لإنقاذنا من كل ضيق وإن كنّا في الأنهار فلا تغمرنا ، أو في النّار فلا تلذعنا. وإن سمح اللّه بأن يتركنا أحياناً في حال الضيق بدون تعزية فلنصبر صبراً جميلاً ، فإنّ الصبر في زمن فقدان التعزية له أجرٌ عظيم.

تفسير القدّاس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

ثمّ يقول للشمّاس: يا أخي ومشاركي في الخدمة ، إغفر لي أنا الخاطىء.
ويقول **الشمّاس**: كهنوتك يذكر الربّ الإله في ملكوته السماويّ كلّ حين ، الآن ،كل أوان وإلى دهر الداهرين.

بعد ذلك يتقدّم من القدسات بخوف ورعدة ، ويأخذ قسماً من الخبز المقدّس ويقول: ها أنذا أتقدّم إلى المسيح ملكنا وإلهنا غير المائت ، أنا الحقير في الكهنة (فلان) يُناوَل لي جسد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح ، الكريم المقدّس ، لغفران خطاياي وللحياة الأبديّة على إسم الآب والإبن والروح القدس ، ثمّ يتناوله ويقول: آمين.

ثمّ يدعو الشمّاس قائلاً يا شمّاس تقدّم.
الشمّاس: ها أنذا أتقدّم إلى المسيح ملكنا وإلهنا غير المائت. ناولني يا سيّد ، أنا الشمّاس الحقير (فلان) ، جسد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح الكريم المقدّس لغفران خطاياي وللحياة الأبديّة.

ثمّ يمسك **الكاهن** الكأس المقدّسة ويقول: أنا الحقير في الكهنة (فلان) يُناوَل لي أيضاً الدم الكريم الطاهر النقيّ المحيي ، دم ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح لغفران خطاياي وللحياة الأبديّة. ويتناول منه ثلاثاً.

ثمّ يُقبّل الكأس ويرفعه قائلاً: هذه لامست شفتيّ فتنتزع آثامي وتطهّرني من خطاياي.

ثمّ يدعو الشمّاس قائلاً: يا شمّاس تقدّم.

الشمّاس: ها أنذا أتقدّم إلى المسيح ملكنا وإلهنا غير المائت. ناولني يا سيّد، أنا الشمّاس الحقير (فلان) ، الدم الكريم الطاهر دم ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح لغفران خطاياي وللحياة الأبديّة. ثمّ يُناوله الكاهن ثلاث جرعات ويقول: الشمّاس (فلان) الكلّيّ الوقار، يُناوَل لك الدم الكريم الطاهر، دم ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح ... ثمّ يقبّل الشمّاس الكأس المقدّسة ، ويرفع الكاهن الكأس ويقول: هذه لامست شفتيك فتنزع آثامك وتطهّرك من خطاياك.

هذه لامست شفتيّ

وبعد أن يتناول الكاهن جسد المسيح الكليّ قدسه ودمه الكليّ الطهارة ، بخوف ورعدة ، يُقبّل الكأس المقدّسة، ويقول: «**هذه لامست شفتي فتنزع آثامي وتطهّرني من خطاياي**». هذا الكلام قاله النبيّ أشعياء ـ في الرؤية الحاصلة له لمّا دُعي إلى الإستحقاق النبويّ ـ ملاك سرافيم ، عندما طار إليه وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ، ومَسَّ بها فمه. «إنّها رمز للمسيح ، الذي من أجلنا ولأجلنا وَضَعَ نفسه لله وللآب ذبيحة روحانيّة طاهرة ورائحة زكيّة» (القديس كيرلّس الإسكندري).

لم يجرؤ الملاك على ملامسة الجمرة بيده، والجمرة ترمز إلى المسيح. أمّا نحن فإنّنا نقترب من المسيح في القدّاس الإلهيّ. ويقول القديس يوحنّا الذهبيّ الفم رئيس أساقفة القسطنطينيّة في هذا الصدد:

«إن تأمّلت حقيقة القرابين الكريمة الموضوعة فستجد أنّها تختلف بما لا يُقاس من ملامسة السرافيم. ولكن إن إفتكرت برأفة الربّ نحوك فستجد أنّ نعمة القرابين الإلهيّة لم تخجل منّا بل إنحدرت علينا رغم حقارتنا نحن». ويتابع: «إن افتكرت بهذه الأمور أيّها الإنسان وتأمّلت عظَم الهبة ، فانهض وانفصل عن الأرض وارتفع إلى السماء».

وإلتصاقنا بالأرضيّات يشكّل عائقاً لجهة أن تأتي المناولة الإلهيّة بأثمارها. ويقول **القدّيس سمعان اللاهوتي الحديث**: «أمّا هذا الخبز فهو بالنسبة إلى أولئك الذين لم يرتفعوا عن الحسيّات، خبز بشكل حسيّ ؛ إلا أنّه بالنسبة للذين يشاهدون عقليّاً فهو نور غير موسوع وغير مدرك ... فأنت ، عندما تتناول الخبز الإلهيّ وتشرب خمر الإبتهاج ، كيف يسوغ لك أن تعتقد أنّك تناولت الحياة الأبديّة عندما تجهل أنّك تناولت الجمرة المشتعلة ؟ ... كيف يسوغ لك الإقتراب من نار الألوهة الذي لا يُدنى منه ؟ لا يا أخي ، لا. هذه كلّها تتمّ من أجلك ، لأنّك عديم الحسّ كليّاً أمامها ... هذا النور يُنيرك ، لكنّك أعمى ولا تستنير. النّار تشملك بدفئها، لكنّك تبقى بارداً بالكليّة. الحياة أقبلت عليك لكنك لم تنهض بل بقيت مائتاً».

«الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (متى١٨:٣)

فلنتقدّم إلى المناولة الإلهيّة أنقياء النفس والجسد في سبيل إقتبال الحياة الأبديّة. «فلنقترب من الربّ بشوق عظيم. ولنقتبل جسد المصلوب ونحن مصلوبي الأيدي. ولنسمّر عيوننا وشفاهنا وجبيننا نحو < الجمرة الإلهيّة > عند تناولنا إيّاها ، فنحرق خطايانا بنار هذا الشوق المعتمر فينا بعد أن اقتبل مؤونة من الجمرة، ويستنير قلبنا، ونتحوّل نحنُ أيضاً إلى جمرة متّقدة ، ونتألّه بالإشتراك بالنّار الإلهيّة» (القديس يوحنا الدمشقي).

يتبع

متفرقات

الرجل يشرّف العمل

الاسكندر الكبير

عزل الإسكندر الكبير عاملاً من عمل نفيس ، وولاه عملاً خسيساً. فَقَدِمَ عليه بعد حين. فقال له: كيف رأيت عملك.

فقال له: أيّها الملك إنّه ليس بالعمل الكبير يَنبل الرجل ، ولكن ينبل عمله به ، وإن كان خسيساً.

كان أذدشير يقول : ما من شيء أضَرَّ على نفس ملك أو رئيس أو ذي معرفة صحيحة من معاشرة سخيف ، أو مخالطة وضيع ، لأنــّه كما أنّ النفس تصلح بمخالطة الشريف الأديب الحسيب ، كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها ويبيّنها عن شريف أخلاقها ، وكما أنّ الريح إذا مرَّت بالطيب حملت طيباً تحيي به النفوس وتقوي به جوارحها. كذلك إذا مرّت بالنتن فحملته آلمت النفوس وأضرّت بأخلاقها إضراراً تامّاً ، والفَساد أسرَعَ إليها من الصلاح إذا كان الهدم أسرع من البنيان ، وقد يجد ذو المعرفة من نفسه عند معاشرة السفل الوضيع شهراً ، فساد عقله دهراً .

معمل العالم ثوماس أديسون

توماس أديسون

كتب المستر ثوماس أديسون على باب معمله ما معناه: «أديسون يشتغل بعمله ولا يقدر أن يتركه» . والذين كانوا يذهبون إلى المعمل ، ما كان يُؤذَن لهم في مخاطبة سوى وكيله.فهذا الرجل الغنيّ المخترع المشهور أقامَ حاجزاً بينه وبين النّاس ليس لكبرياء ، ولكن حُبّاً في العمل. فما أشرف العمل وإن كان صغيراً وحقيراً لهو أشرف من خبز الكسل أو ذلّ السؤال.

الرئيس الأمريكي وأحد العبيد

جورج واشنطون

يروى عن الرئيس الأوّل للولايات المتحدة ومحرّرها ، جورج واشنطون أنّه كان ذات يوم ماراً مع صديق له فحيّاه أحد العبيد السود ؛ فرفع الرئيس واشنطون قبّعته وردّ له التحيّة. فانتقده صديقه قائلاً: أيليق بالجنرال واشنطون مع جلالة قدره أن يرفع قبّعته إكراماً لأحد العبيد. فقال له الرئيس: نعم وسأفعل ذلك أبداً حتى لا أدع عبداً يفوقني في الأدب.

الرزانة والسكون .

الرزانة والسكون والهدو والتبصّر والتفكر والحلم والأناة ... كل هذه الصفات الكسبيّة لا تستغني السعادة عنها ولا تكون إلاّ بها ، كما أنّ بعضها لا يغني عن البعض شيئاً. من تلك الصفات يمكن الإنسان أن يتخذ أعواناً ونصراء يعينونَ عند الحاجة ويشدّون أزره متى شاء.

فلو لم يكن حازماً متبصراً في العواقب بعيد النظر في الأمور وملازماً للسكون والرزانة لألقى به في أسرع من لمح البصر إلى وهدة الشقاء المبين ، ولكن نعم البصير العقل ، وبئس الناصح الهوى فالعقل واق من النفس وما تجرّه من أنواع الشقاء وصنوف البلاء. ولو لم يكن أيضاً صبوراً على إحتمال المكاره ، شَهماً في صدّ صدمات الدهر، لما لبث إلاّ عشيّة وضحاها حتى انقلب مع الخاسرين.

رَجُلاً بالمعنى الصحيح

يمكن الإنسان أن يكون طبيباً ماهراً ، أو حاكماً عادلاً أو نحويّاً عظيماً ولكن بدون الفضيلة لا يمكنه أن يكون رجلاً بالمعنى الصحيح .

قصَر العمر وآلام الحياة وأحزان الأيام ، كلّ هذه التغيرات لا تأثير لها على الفضيلة متى تمسّك بأهدابها وعمل بمقتضاها.

الفضيلة زينة للأعمال ، وكل عمل يكون أساسه الفضيلة فلا خوف عليه ولا ضرر من ورائه ، ولا شكّ في نجاحه.

اللّه يعمل ... للخير

انتوني م. كونياريس

ليس في بعض وإنما في كل الأشياء

قَصَّ عليَّ طاه شهير : أنّ من أفضَل الأطعمة هو ما يُعمَل من المخلّفات المتبقية. يقول شخص إنّه بين كل فترة وفترة فإنّه ينقّب في الثلاجة بحثاً عن بعض الأشياء المتبقية والمخلّفات ، فرخة متجمّدة أو عظم مشوي ، بصلة أو بصلتين ، جزرتين ، قليل من البقدونس الطازج وقليل من الملح والتوابل. وبعد ذلك فإنّه يأخذ هذه الأشياء التي لا طعم لها ، وهي الخلطة غير المحبّبة والتي لا تثير شهيّة طعام ، ويضع عليها ماءً عادياً ، وبعد أن يغطّي الإناء، فإنّه يتركها على النّار وينتظر. يقول الطاهي: إنّه بعد ساعات قليلة فإنّ اللّه يحوّل المحتويات داخل الوعاء والتي لم يكن لها نفع ، يحوّلها إلى شوربة رائعة المذاق ، إنّ هذه الشوربة المغذيّة لهي برهانٌ عجيب ومُدهش على قدرة اللّه في أن يأخذ الأشياء العاديّة ، بل وبالأحرى التي لَا مذاق لمحتوياتها ويحوّلها إلى شيء رائع.

كيف يعمل اللّه هذا ؟ لن نفهم أبداً، ولكن نعرف أن نفس هذا الإله يمكنه أن يأخذ هذه القطع والأجزاء الصغيرة في حياتنا ، التي لا قيمة لها ولا تعني شيئاً بالنسبة لنا ، ويصنع منها شيئاً جميلاً لائقاً بمجده وبملكوته ، ولكن يجب أن نكون راغبين في أن نضع أنفسنا بين يديه وننتظر.

في كلّ الأشياء:

✚ «إنّنا نعلم أنّ اللّه يعمل في كلّ الأشياء للخير لأولئك الذين يحبّونه..».

لقد ركّزنا حديثنا في العدد السابق على الكلمات «**إنّنا نعلم**» ، والآن سوف نركّز الكلام على الثلاث كلمات: «**في كلّ الأشياء**» . إنّ اللّه قادر أن يستخدم «**كلّ الأشياء**» ، جميع خبرات الحياة ، يوجّهها نحو الخير ، ولكن هذا لا يعني أنّ القديس بولس يقول إنّ جميع الأشياء التي تحدث إنّما هي برغبة اللّه أو إرادته، ولكنّه يقول بالأحرى إنّ اللّه يُمكن أن يُوجَد في كلّ شيء يحدث لأولئك الذين يحبّونه ، وإنّه يمكنه أن يستخدم تلك الإختبارات لتقودنا إلى إكتشافات غير متوقّعة.

لاحظ عبارة بولس القاطعة ، إنّه لا يقول: «إنّنا نعلم أنّ اللّه يعمل في بعض الأشياء» ، ولا «في أغلب الأشياء» ، ولا « في الأشياء المبهجة» ، ولكن «في كلّ الأشياء». إنّ اللّه يعمل في الأشياء الصغيرة كما في الخطيرة، ويستخدم أحقر الأشياء في الحياة اليوميّة كما يستخدم أيضاً ساعات الأزمات الشديدة ، **وفي كلّ الأشياء يعمل اللّه للخير لأولئك الذين يحبّونه.**

«لا تخف أيّها القطيع الصغير لأنّ أباكم قد سُرَّ أن يُعطيكم الملكوت» (لوقا ١٢:٣٢)

لماذا تحدث أشياء رديئة لأشخاص صالحين ؟

هل تقصد أنّ اللّه يمكنه أن يستخدم للخير كلّ الأشياء حتى الأشياء الرديئة التي تحدث لنا ؟ **نعم !** الأشياء الرديئة إنما تحدث أيضاً حتى لأولئك المدعوين «صالحين» ، مع أنّه بالنسبة لنا كمسيحيين ، فإنّه ليس صالحاً إلاّ اللّه وحده. في الحقيقة من الممكن أن تحدث أشياء رديئة لأناس «صالحين» ، ولكن بالنسبة لأولئك الذين يحبّون اللّه، فإن اللّه نفسه سوف يكون عاملاً في تلك الأشياء الرديئة حتى تعمل في النهاية للخير.

في كلّ الأشياء نحن أعظم من منتصرين:

«إنّنا نعلم أنّ اللّه يعمل في كلّ الأشياء للخير لأولئك الذين يحبّونه..».

إنّ هذه الآية تُزعج وتُقلق بعض الناس لأنّها مقولة بصورة مطلقة ، إنّها تحوي عبارة «في كل الأشياء» . طبعاً لا يعترينا أي مشكلة من جهة الإعتراف باهتمام اللّه وعنايته عندما تحدث لنا أمور صالحة، فمثلاً عندما يدخل الطبيب إلى الحجرة وعلى وجهه إبتسامة هادئة ويقول: «أخبار سارّة ، الورم ليس خبيثاً» ، يُصبح من السهل أن نقول: «السُّبح للّه!» كذلك عندما نحصل على ترقية في العمل أو يكون الأولاد والبنات بصحة جيّدة وأقوياء ، فلن تكون هناك صعوبة بمكان لنشكر اللّه على عطاياه العظيمة هذه. ولكن (رومية٨:٢٨) تتكلّم عن اللّه الذي يعمل في كلّ الأشياء للخير لأولئك الذين يحبّونه. عندما تقرأ الأصحاح الثامن كلّه، فإنّك سوف ترى القديس بولس وهو يذكر بعضاً من هذه الـ «كل الأشياء» التي يتكلّم عنها إنّها تتضمّن بعض الأشياء الرديئة مثل: «شدّة .. إضطهاد .. جوع .. عُري ..خطر .. سيف» (رو٨:٣٥)، ولكنه يستمر ليقول: «ولكنّنا في هذه كلها يعظم إنتصارنا بالذي أحبّنا» (رو٨:٣٧).

مثل أجزاء عابرات المحيطات:

إنّنا نعلم أن أشياء كثيرة ممَّا يحدث لنا ليست صالحة. وإنما رديئة ومثيرة للهمّ ، فمثلاً إنّ الأجزاء التي تتركّب منها الباخرة عابرة المحيطات إذا أُخذَ كلٌّ منها على حدة فإنّه يغرق ؛ الماكنة التي تُدير الباخرة تغرق ، الرَّفاص (الدافع) الذي فيها بمفرده يغرق ، ولكن عندما تتآزر أجزاء الباخرة العظيمة وتقترن معاً جيداً، كلٌّ في مكانه المضبوط ، فإنّها تطفو.

هكذا الأمر بالنسبة للحياة لأولئك الذين يحبّون اللّه. إنّنا إذا أخذنا الأحداث التي نجتاز فيها ، كُلاً منها على حدة ، فقد تبدو مرعبة وتصيبنا بنوبة في القلب وتجلب علينا الحزن ، ولكن اللّه مع ذلك يمكنه أن يجمع محصّلة خبرات الحياة كلّها ، ويلصقها ويثبتها معاً بمادة محبّته وحكمته ، لتنتج لنا شيئاً صالحاً. فلماذا إذاً تحدث بعض الأشياء الرديئة لأناس «صالحين» ؟ لأن اللّه يمكنه أن يستخدم حتى الأشياء الرديئة لصالحنا ولخيرنا.

حتى الألم ؟

هل تقصد أنّ اللّه يقدر أن يستخدم **كلّ الأشياء للخير** بما في ذلك الألم؟ نعم، أقصد ذلك، **حتى الألم!** إنّ اللّه لا يُجَنِّبنا الألم لأنّه يقصد أن يساعدنا لنبلغ هدفنا ومسعانا في الحياة. إنّ اللّه يستخدم كل ما تتضمَّنه الحياة بما في ذلك الألم ليساعدنا لكي تنمو شخصياتنا وصفاتنا.

بعد أن فقدت إمرأة مَن تحبّ صرخَت: «آه ، تمنَّيت لو لم أكن قد خُلقتُ أو شُكّلت». فأجابها صديقٌ حكيم: «نعم، أنت لم تُشَكّلي بعد ، إنك تُشَكّلين باستمرار ، إنّ ما حدَث هو جزء من عمليّة التشكيل».

إنّ الحزن عندما يحدث لنا ، لا يكون مصادفة أو حادثاً مفاجئاً. الألم عندما ينتابنا ليس هو مصادفة أو حادثاً مفاجئاً. المعاناة عندما تعبر بنا ، ليست هي مصادفة أو حادثاً مفاجئاً. إنّ هذه الأشياء إنما هي جزء من **«كلّ الأشياء»** التي يستخدمها اللّه ليصوغنا ويُشَكّلنا. وعن هذا كتب أحد الأشخاص ـ بعد أن نما ونضج من خلال الألم ـ فقال:

«إن الألم يعلّمنا أن نكون أكثر تعاطفاً وفهماً للآخرين. إنّنا لن نعرف معنى الألم إلى أن نختبره. إن جميع الآلام تُعَمّقنا وتُوسّعنا إن سمحنا لها بذلك. إن الإختبارات غير السّارة التي تصادفنا في الحياة إنما تُكمّل هدفاً ومقصداً. من خلال الألم نحن نتقوّى ونتعلّم أن نقف بمفردنا مع اللّه. أحياناً يستولي علينا الألم والعناء قبل أن نسلّم حياتنا للّه ، ونطيعه ونتبعه كما يريد أن يقودنا. إنّ صلاتي الوحيدة هي في أن أعرف إرادة السيّد وأطيعه كما يشاء الروح القدس أن يقودني ، لقد تعلّمتُ من خلال هذا الحزن أن أضع (الأشياء الأولى أولاً) ، ولقد شعرتُ بالبركة تملأني بما لا يمكن للكلمات أن تعبّر عنه».

قال شخصٌ ما ذات مرّة: «لا حزن يُزعج أولاد اللّه، عندما يعلمون السبب الذي لأجله يُرسل لهم اللّه الألم».

حتى الموت؟

وهل تقصد أنّ اللّه يقدر أن **يستخدم كل الأشياء** للخير بما بما في ذلك الموت؟ أقول لك: **نعم!** حتى الموت. قال شخص بعد أن أُبلغ أنه مريض بورم خبيث: «**إنّك لن تبدأ الحياة إلى أن تعرف أنّك سوف تموت!**».

حتى الفشل؟

وهل تقصد أن اللّه يقدر أن **يستخدم كل الأشياء** للخير بما في ذلك الفشل؟ أقول لك: **نعم!** حتى الفشل. إن أعظم الدروس التي نتعلّمها في الحياة إنما هي عن طريق الفشل. إن **شارل كولسون** مساعد الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكيّة والذائع الصيت قال: «إنّ أعظم ميراث حقيقي نلته في حياتي هو أعظم الفشل عندما حُكِمَ عليَّ بالأشغال الشّاقة. إنّ أعظم تحقير وإذلال لي عندما أُرسَلتُ إلى السجن ، كان هو بداءة إستخدام اللّه العظيم لحياتي ، كما استخدم اللّه الإختبار نفسه الذي لم أكن أستطيع أن أُمجِّده فيه ـ لتمجيده!». أليس هذا هو نفس الفكر الذي عبَّر عنه **سولجنيتسين** عندما قال: «مبارك أيها السجن، لأنّك حياتي». أو لم يتعلّم بولس دروسه العظيمة من خلال الفشل والأمور المعاكسة؟ إسمعه يقول:

«فإنّنا لا نريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أنّنا تثقّلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً ، لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون مُتّكلين على أنفسنا بل على اللّه» (٢كو١:٨-٩).

وإذا ابتدأنا في هذا الفصل بوصفة لعمل الشوربة ، فإنّنا نختمه بوصفة لعمل الكعكة ، فيقول **فانس هافنر** في هذا:

«لمّا كنت صبيّاً كنت أستمتع بالتطلّع إلى والدتي وهي تجهّز لنا الفطائر أو الكعك ، فعندما كانت تجمع **كلّ الأشياء** التي تعمل منها الكعكة ، فإنّه لم يكن واحدٌ منها بمفرده فاتحاً للشهيّة ، فَمَن منّا يطيق أن يأكل دقيقاً أو خميرة العجين؟ ولكن بعد أن تَخلط **كلّ الأشياء** بالنسَب الصحيحة ثم تضعها في الفرن ، فإنّنا كنّا ننتظر بفرح وبفارغ الصبر ما سوف ينتج من هذه الخلطة! هكذا الأحداث التي نعبر بها في حياتنا قد تكون بمفردها غير مبهجة ، ولكن عندما يستكمل اللّه الوصفة ويضعها لتنضج ، فإنّه يُنتج منها كعكة (رو٨:٢٨) ونجد الطعم جيداً جداً ، مع أنّ مكوّناتها بمفردها كانت أحياناً تجعلنا نبكي...

عندما نقف أمام كرسيّ اللّه ، فإن جميع الألغاز والأحجيات التي حيّرتنا وأربكتنا هنا ، سوف تنكشف وتسقط هناك ، وسوف نعلم بالكمال ما نعرفه الآن بالإيمان، أنّ **كلّ الأشياء عملت معاً للخير** لأجل القصد الإلهي الأبدي، والصرخة التي كانت تدوّي: «**يا إلهي لماذا؟**» ، سوف تصير «**هللويا**»، وجميع علامات الإستفهام سوف تتحوّل إلى علامات تعجُّب ، والحزن يتحوّل إلى ترنيم ، والألم سوف يُبتلع إلى حمد وتسبيح». ■

الكبرياء

«المتكبّرون هم سخرية العقلاء» (اللورد باكون)

أقول وأنا واثقٌ من أقوالي أنّ المتكبّر يقتل نفسه.

قد يندهش أحد القارئين إذا ما قرأ ذلك كأنّه لا يدري أنّ الكبرياء داءٌ خبيث يعتّل معه الجسم باعتلال النفس ويعتلاّن معاً.

ينظر المتكبّر إلى غيره كمن ينظر إلى حشرة بسيطة أو حيوان حقير لا يستحق عناية الإلتفات إليه لفتة عين ويعتبر كلّ مَن تحت الشمس هم دونه رِفعةً ومقاماً.

لو أنّ كلّ قارىء يلتفت إلى ما يفعله هذا الأمر في جسم ونفس المتكبّر لقال معي بلا تردد المتكبّر يقتل نفسه.

لو أنّ تلك الذّات ... المتكبّرة الكبيرة في عيني نفسها الصغيرة في عينيّ كلّ العالم تنظر نظرتها إلى الناس لما تراه فيهم من الخبائث والمساوىء فتحتقر هذا لكونه يغتصب شرف ذاك في عرضه وغيره، في ماله وسمعته ، وذاك لكونه يشرب دمّ هذا كما يشرب الخمر والجعة **لأكبرتها** في عينيّ ولعلمت أنها نفس شفّافة لا تميل إلاّ إلى الكمال والفضيلة والشرف ، ولكنّها لسوء حظّها وحدها تنظر إليهم نظرتها لكونهم في عينيها لا يحاكونها عُلوّاً ومكانةً ومعرفة وفهماً وعقلاً ؛ وسبحان موزّع العقول والأفهام.

الكبرياء إذا تمكّنت بالنفس ولَدَت بها طبائع سامّة: منها **الزهو والعجب والخيلاء والإدّعاء والغرور** ، وأخوات تلك الصفات المرذولة في الإنسان التي يمكن تسميتها ببنات الكبرياء.

من بناتها أيضاً: **حبّ الظهور الباطل من غير فضيلة ولا فضل يذكر** ذلك الأمر الذي يقتل نفوساً عديدة ويحدث غوغاء وضجّة مزعجة من آن لآخر ويشوّش أفكار القوم الهادئين.

❊
❊ ❊

وجدَ **ديكان** في حوش دجاج وكلا الديكين يتنازعان السيادة والزعامَة على حوش الدجاج فقاتلا قتالاً عنيفاً فاز فيه أحدهما على الآخر.

الديك الذي نال الغلبة أسكره الفوز وأخذته الروح الخبيثة روح الكبرياء ، فطار إلى قمّة عالية وصاح بصوت عال معلناً فوزه ، وبينما هو كذلك إذ بالبازّ إنقضّ عليه وحمله بين مخلبيه.

جاء الديك المنهزم بعد أن كان منزوياً ونال الزعامة والسيادة على حوش الدجاج بلا نزال ولا طويل خصام.

ذلك الديك الفائز المائت لم يَنَل حتفه من عدوّه من طريق الصدفة والإتفاق ، بل من طريق كبريائه وخيلائه.

قد يعترض البعض قائلاً هل في إعلان الفوز عيبٌ وضرر ؟

يظهر أنّ هذا الإعتراض وجيه في بادىء الأمر لمن يأخذ الأمور على ظواهرها ، ومن الغلط البيّن أن نحكم على شيء قبل أن ندرس نتائجه وطبائعه. على أنّ مثل هذا الإعلان ضَربٌ من الغرور والزهو ، يدلّ على النقص في النفس ؛ والواجب أن تعلن عن الإنسان أعماله ويذيع الناس فضائله لا أن يعلن هو عن نفسه ، فيلقى حتفه واحتقار الناس له من قبل.

❊
❊ ❊

مثل الإنسان المتكبّر مثل رجل جالس على قمّة جبل عال ينظر إلى الناس جميعهم فيراهم صغاراً جدّاً في عينيه ، وهكذا هم يرونه هكذا حقيراً.

هو يرى الكلّ صغاراً ، والكل لا تؤثّر نظرته بشيء قط وبالعكس عندما ينظر المجموع إلى الفرد الواحد هذه النظرة من المجموع إلى الواحد تعدمه وتجعله كأنّه لا شيء في الوجود بل عَدّوهُ كالمعدوم المحتقر.

وبالجملة فالكبرياء داءٌ خبيث ومطيّة شرسة تُلقي براكبها من شاهق لأسفل سافل.

ويقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

فاخفض جناحك للأنام تفز بهم ... إنّ التواضع شيمة الحكماء
لـو أُعجِبَ القمر المنيـر بنفسه ... لرأيته يهوي إلى الغبـراء

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٣٤)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة :

محطات الرحلة (خر١٣؛ عد ٣٣) :

رحلة الجواسيس في كنعان : قادش برنيع في الشمال الشرقي لسيناء ، وفيها تقع واحة هامّة بسبب وجود عين ماء جعلتها مركزاً هامّاً على طريق مرور القوافل من البدو الرحّل ، وفيها قضى الإسرائيليّون وقتاً طويلاً (تث١:٤٦) ، فعاشوا مستريحين بجوارها يسقون قطعانهم ويجدون الماء سهلاً لذا إمتدت إقامتهم إلى سنة ، وكان الهدف الأساسي أن يدخلوا كنعان عن طريقها ، وعلى هذا أرسل موسى الجواسيس الإثنا عشر ، كان يشوع من سبط إفرايم وكالب من يهوذا، وواحد من كل سبط من بقيّة العشرة أسباط ، وكانت مهمّتهم تنحصر في أن يتجسّسوا الأرض ويرسموا طريق الغزو ثمّ ينتشرون في كنعان.

كان أمام الجواسيس ناحية الشمال الغربي طريق الساحل المفتوح ، وكان سهلاً ، ولكنّه طريق يخشاه الرعاة الرحّل كالعبرانيين، فهو ليس آمناً ، وكان إلى الشرق أرض النقب الجرداء ، لذلك إتّخذ الجواسيس الطريق شمال شرق قادش برنيع ، واتّجهوا ناحية **حرمة وعراد** قاصدين المرتفعات حول **حبرون** ، ولم يقف الجواسيس عند حبرون لكنّهم تقدّموا وتوغّلوا شمالاً في الأرض حتى حدود كنعان الشماليّة ووصلوا إلى رحوب عند مدخل مدينة حماة السوريّة، (أنظر الخارطة المرفقة). وبذلك فإنّ الجواسيس كانوا قد أقاموا بعمليّة إستكشاف واسعة غطّت كل أرض الموعد ، واستغرقت أربعين يوماً ، وإذ كانوا قد رسموا طريق الغزو أن يكون من الجنوب، فالهدف الطبيعي هو الإستيلاء على الهضبة التي ترتفع لأكثر من ٣٣٠٠ قدماً (٩٩٠ متراً) شماليّ حبرون ، ولكن كانت أخبار مروّعة عن **بني عناق**،وعن المدن المحصّنة وأسوارها المنيعة (عد١٣:٣٣) وكان الوقت هو في أشهر الصيف حيث أحضر الجواسيس معهم من ثمار الأرض رماناً وتيناً وعنقود العنب الشهير من وادي إشكول بالقرب من حبرون ، وفي حماس يشوع وكالب رأوا أن يبدأوا بالغزو مباشرة ، لكن خوف بقيّة الجواسيس أضعف قلب الشعب وسبّب إرتداد نفوسهم مما أثار غضب اللّه وأدّبهم بالتيه في البريّة أربعين سنة ، سنة عن كل يوم قضاه الجواسيس في كنعان حتى لا يدخل من الشعب مَن هم أكبر من عشرين سنة باستثناء الرجلَيْن العظيمَيْن يشوع بن نون وكالب بن يفنة.

رحلة الجواسيس في كنعان

التيه في البريّة: لقد إستغرق المرور من قادش برنيع حتى حدود موآب ٣٨ سنة ، وتبدأ بعد سنتين منذ خروج بني إسرائيل من مصرَ ، وتنتهي في الليلة السابقة لدخول أرض كنعان وهي فترة تضمّنها سفر العدد ، وساروا في تلك الأرض (المملكة الأردنيّة حديثاً) وهي تتضمّن ثلاث ممالك قديمة هي:

آدوم: تقع في الجنوب وتصل بين خليج العقبة والبحر الميّت.

مـــوآب: تشمل معظم الأرض شرق البحر الميّت ومركزها حشبون.

عمون: شمالي حشبون وتشمل شرق الأردن ومركزها عمان حالياً (عاصمة المملكة الأردنيّة).

ويخترق هذه الممالك الثلاث طريق التجارة البري الهام والذي يُطلَق عليه الطريق الملكي وهو الطريق الرئيسي للتجّار ، ويمتدّ من خليج العقبة مباشرة إلى دمشق.

وكانت فترة التيه طويلة قضاها بنو إسرائيل في الإستيطان في الواحات حول الآبار حيث أقاموا برعي قطعانهم وزرعوا المحاصيل ، وعند إقترابهم من آدوم أرسل موسى النبيّ رسالة دبلوماسيّة إلى ملك آدوم يطلب فيها أن يسمح له بعبور الشعب في أرضه ويتعهّد له بأن الشعب لَن يمرّ في الحقول أو يأخذ ماء بدون مقابل. لكن الأدوميون (وهم من نسل عيسو) رفضوا المرور في أراضيهم ، وهنا يتّخذ موسى طريق الدوران طويلاً حول الجنوب، وقد حاولوا التغلغل من الجنوب ، لكنّهم فشلوا في ذلك حيث حاربهم **ملك عراد** الساكن في الجنوب ، مستعيناً بقوّة من سكان النقب تألّفت من الكنعانيين والعمالقة الذين سدّوا عليهم الطريق شمالاً وهزم فيها إسرائيل لبعض الوقت (عد٢١:٣١).

يتبع

عظة عن الكهنوت للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

١ ـ مَنزِلة الكاهن

عندما يدعو الكاهن الروح القدس ويحتفل بالذبيحة الإلهيّة ، وعندما يأخذ بيديه ربَّ الطبيعة الأسمى ، أسألك في أيَّة مَنزلة نضعه ؟ أيَّة طهارة وأيُّ تقوى لا نطلب منه ؟ كيف تكون اليدان اللتان تُستخدمان لمثل هذا السرّ ؟ كيف يكون اللسان المكلّف بأن ينطق بالكلمات التي تعرفها ؟ وهل هناك درجة في القداسة والطُهر أرفع من هذه الدرجة التي تَرْقَى إليها النفس التي تستقبل روح اللّه ؟ مع الكاهن تحضر الملائكة وتُنشد الأجواق السماويّة أناشيدها فتعبَقُ الأجواء حَول المذبح بالترانيم إكراماً للذبيحة المرفوعة. إنّه السيّد المسيح هنا. وهو الذي هيّأ هذه المائدة ، وهو أيضاً من يُؤخَذ منها. وليس هو الإنسان الذي يحوِّلُ ما يُقَرَّبُ إلى جسد يسوع المسيح ودمه بل هو المسيح ذاته الذي صُلِبَ لأجلنا. وما الكاهن على المذبح عندما يتلفَّظ بالكلمات سوى صورة ليسوع المسيح ، وإنّما القوَّة والنعمة تأتيان من اللّه الذي يفعل عندما يقول الكاهن: «هذا هو جسدي» ، وهي هذه الكلمات التي تحوِّلُ ما يُقَرَّب.

يا بُنيَّ إذا أقبلتَ لخدمة الربّ فأعدد نفسك للمحنة ووجّه قلبك واحتمل.(ابن سيراخ ٢:١)

٢ ـ سلطان الكاهن لمغفرة الخطايا

«إنّ الآب قد أعطى الإبن الحكم كلّه» (يوحنا ٥:٢٢) ، وإنّي لأرى الإبن يُسلِّمُ هذا السلطان بكامله إلى الكهنة. حتى أنه يُظَنُّ أن اللّه قد أدخلهم السماوات أولاً ورفعهم فوق الطبيعة البشريّة وخلَّصهم من عبوديّة الأهواء ليوشِّحهم أخيراً بهذا السلطان الأسمى.

إنّ كهنتنا لا يَشفُون من بَرَص الجسد إنما من بَرَص النفس. وقد أُعطوا السلطان ليس فقط ليهتمُّوا بالنفس بل ليَشفوها. وإنَّ الآباء بحسب الجسد لا يستطيعون أن يُحاموا عن أولادهم عندما يَهينون أحد كبار هذا العالم. أما الكهنة فإنّهم يصالحون الناس لا مع كبار هذا الدهر والمتسلِّطين عليه بل مع اللّه عندما يغضَب.

الفرق بين آبائنا بحسب الجَسد وبين الكهنة هو ذات الفرق بين الحياة الحاضرة والحياة الأخرى ، أولئك يُعطُون الأولى وهؤلاء الثانية.

إنّ آباءنا بحسب الجسد لا يستطيعون أن يمنعوا عنَّا موت الجسد أو يُبعدوا عنّا الأمراض ، أمَّا الكهنة فيَشفُون النفس المريضة المُشرفةَ على الهلاك وبإمكانهم أن يُخَفِّفوا أيضاً العقاب المفروض وأن يَستدركوا السقوط بالتعليم والإرشاد والصلواتَ المُسعِفة.

٣ ـ فضائل الكاهن

على نفس الكاهن أن تكون أطهَر من شُعاع الشمس حتى يجعل الروح القدس منها مَسكناً دائماً له فيتمكَّن الكاهن أن يقول: «فأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فيَّ» (غلاطية ٢:٢٠). إذا كان مَن يهرب إلى الصحراء بعيداً عن المدينة والساحة العامة والضجيج الصاخب لا يقوَى أن يعيش بدون زَلَّة رغم هذه الحياة الآمنة ، وإنْ كان من يُكثرُ من الحَذَر ومن الوسائط الدفاعيّة محافظاً على قوانين قاسية بكلامه وتصرفاته يفعل كل هذا للتقرّب من اللّه بالثقة والطهارة الممكنة من الطبيعة الضعيفة ، فبأيَّة شجاعة وبأيّة قوَّة يضطّر الكاهن أن يتسلّح ليصون نفسه من كلّ شائبة ويحفظ لها جمالها الروحيّ بعيداً عن كلّ عيب !

على الكاهن أن يكون على السواء وقوراً بدون تكبُّر ، مَهيباً طيِّب المعشَر ، يأمر ويؤنس ، يتّضع بلا مذلَّة ، قويّاً لطيفاً يستطيع مع كل هذه المزايا أن يصمدَ في الجهاد كي لا يبقى أمام عينيه إلاَّ شيء واحد: بناء الكنيسة بناءً لا يدخله حقْدٌ ولا مُحاباة.

٤ ـ الروح الرعائيّة للكاهن

لا ، لا أظنُّ أن الإنسان يمكنه أن يخلصَ بدون أن يعمل من أجل خلاص إخوته. إنَّ مَن لا يعمل إلاَّ من أجل كمال نفسه لا يخدُمُ إلاَّ نفسه.

لا شيء في الدنيا ولا الدنيا بما فيها تساوي نَفْساً واحدة. ولو وزَّعتَ الثروة الكبيرة على الفقراء فاحسُبْ أنك قد صنعتَ أقلَّ مما لو ردَدْتَ نفساً واحدة. هل تريد أن تعرف ما تُساوي نفوسنا ؟ إنَّ الإبن الوحيد عندما جاءت ساعة الفداء لم يُعط بَدَلها العالم ، ولا واحداً من الناس ، ولا الأرض ولا البحر بل أعطى دمه ، **هذا الدم الثمين**.

فلنعمل من أجل خلاص نفسنا ونفوس إخوتنا. والطريق الأسهل والأضمن للخلاص هي بألاَّ نحصُر إهتمامنا بنفوسنا وإنما بانفتاحنا على خلاص الآخرة. وإذ ما جئنا نُعَدِّد تلك الصعوبات التي تعترض رسالتنا فإنما نُشبه رجلاً يقيس البحر.

ولكن فلنعتبر بأنّ الفائدة الكبرى هي بأن نقوم برسالة أعلن المسيح عنها أنها برهانٌ عن محبّتنا له. لأنه عندما كلّم تلميذه بطرس الرسول (ليعيده إلى مكانته الرسوليّة) قال: «ويا بطرس ، أتحبّني ؟» ولمّا أجاب: «نعم يا رب» قال له: «إن كنت تحبني فارْعَ نعاجي».

٥ ـ مكافأة الكاهن

أيّة مكافأة لم يُعدِّها مخلِّصُ النفوس لمن رعى القطيع المفتدى لا بفضَّة أو شيء مماثل بل بموته **وبدمه المهراق**.

إنّ ثقتي بربِّنا يسوع المسيح الذي دعاك ووجَّهك إلى رعاية قطيعه تدعوني إلى أن أترجَّى بأنَّ رسالتَك المقدَّسة تُقَرِّبُكَ من اللّه حتى أنه في اليوم الأخير في ساعة الخطر الكبرى تستطيع أن تدخل تحت حماية المنازل الأبديّة.

ولذلك ، أظهروا غيرةً أكبر ، وإندفاعاً أحرَّ ، ونشاطاً أقوى. إنَّ الأكلَّة تُعطى لمن عَملَ والشَّرف لمن سعى ، والمكافأة لمن تعب. وإنَّ أعمالكم إنما هي التي تكون أكبر شاهد لكم وأعظم توصيةٍ بكم.

٦ ـ الأساقفة والكهنة

في الكنيسة ، يوضَع إنجيل المسيح على رأس الأسقف ، أثناء رسامته ، ليعرفَ أنه يتقبَّل به تاجه الحقيقيّ ، وأنَّه وإنْ يَكُن رئيس كنيسته ، فهو مع ذلك خاضعٌ لسلطان الشريعة الإنجيليّة القائلة: « إنّ من يحكم بين النّاس هو تحت حُكم الشريعة ، ومن له أن يأمرَهم عليه أن يَخضَع لأوامرها». فقد كتب القديس الشهيد العظيم أغناطيوس المتوشّح باللّه ، لأحد الأساقفة: هذه العبارة: «لا يُعمَل شيء بدون إرادتك ، أما أنتَ فلا تعمل شيء بدون إرادة اللّه». إنَّ وضع الإنجيل على هامة الأسقف دليلٌ على خضوعه لسلطته ...

يحسُنُ بالكاهن أن يكون متمرِّساً في الحكمة وأن يَجِدَ الشعب في سيرته قُدوةً صالحةً يحتذيها ...

إنّ زهور البزَّة الكهنوتيّة ، هي المقابلات والأحاديث وطهارة الأخلاق ولُطْف الكلام والإيمان وحُسْن السمعة والحقيقة والعدل.

أنا وابنة الكاهن الوثني

لأنه كان ميتاً فعاش وضالاً فوجِد

بعد سنوات من حياتي الرهبانيّة. دخل الفتور قلبي فكنت أهرب من أب إعترافي .. وأهمل ممارساتي الروحيّة وأتعلّل بشتى الحجج والمعاذير حتى لا أشارك إخوتي الصلاة ...

ونزلت درجة درجة من قامتي الروحيّة. في النهاية قرّرت ترك الدير إلى العالم ، ودون أن يراني أحد تسلّلت من الدير ووصلت للمدينة الصاخبة .. وبعد فترة بحثتُ عن عمل أعيش منه فوجدت عملاً عند **كاهن وثني** رحّب بي ترحيباً كبيراً بعد أن عرف أنّني كنتُ راهباً مسيحيّاً .. في بيت الوثني أُعجبت بإبنته ، وراودتني فكرة الزواج بها .. طلبت من أبيها **الكاهن الوثني** ففرح بي جداً ورحّب بي على شَرط أن يستشير إلهه (يقصد الوثن الذي به شيطان).

عاد الرجل يخبرني أن إلهه وافقَ على الزواج بشرط أن أجحَد المسيح .. وافقت فقد كانت إبنة الرجل جميلة جداً .. أمام الوثن جحدت مسيحي .. وفي الحال رأيت ما يشبه الحمامة البيضاء خرجت من فمي واختفت في الأعالي ، وأدركت أنّ هذا هو الروح القدس الذي حلّ بي في المعموديّة قد فارقني ..

حزنت واغتمّ قلبي لكن كنت أحب إبنة الرجل .. ظللت ألحّ على الرجل ليزوّجني إبنته فقد جحدت مسيحي كما أراد .. فعاد وسأل شيطانه فقال له لقد جَحَدَ الراهب مسيحه لكنّني أرى **المسيح مازال يحبّه** .. زوّجه إبنتك بسرعة حتى يُفارقه مسيحه.

أخبرني الرجل بذلك **فاستيقظ ضميري وتبكّت** وانقلبت عليّ أوجاع نفسي وبللت فراشي بدموعي وساخت من الغمّ عينيّ حُزناً على نفسي التي جحدت المسيح من أجل إمرأة **ومازال المسيح يحبّني**.

قبل بزوغ الشمس هربتُ من بيت الرجل الوثني ورجعت إلى الدير وكنت أشعر أن أُلوفاً من الشياطين تُعَرقل سيري ... لكنّي إتّكلت على رحمة مخلّصي ومحبّته التي تحاصرني ... في الدير جلست إلى أب إعترافي الذي فَرِحَ برجوعي .. إعترفت بكلّ شيء وأنا أبكي بدموع غزيرة ، وبدأ يشجعني بكلمات معزّية وطلبَ منّي أن نصلّي سوياً كلّ يوم .. وكنت أثناء صلاتي أتطلّع إلى السماء حيثُ طارت الحمامة البيضاء الجميلة من قبل .. بعد فترة رأيت الحمامة ظهرت عالية جداً .. ففَرحتُ للغاية وأخبرت أبي الروحي بما أرى ، فَفَرِحَ معي وطلبَ منّي أن نصلّي أسبوعاً ثانياً ، وفي نهايته ظهرت الحمامة قريبة منّي لكني لم أستطع الإمساك بها .. ولما أخبرت أبي الروحي طلبَ منّي أن نصلّي أسبوعاً ثالثاً .. وفي نهايته ظهرت الحمامة فوق رأسي ومن شدّة فرحي مددتُ يدي لأمسكها لكنّها أسرعت ودخلت فمي .. إلى جوفي ومعها سلام الربّ يسوع الذي يفوق كلّ عقل .. ولما أخبرت أبي الروحي فرح جداً معي وقال: «طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيّته .. طوبى لرجل لا يحسب له الربّ خطيّة».

الإيمان والصليب - للقديس يوحنا الدمشقي

«إنَّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالةٌ. وأمّا عندنا نحنُ المُخَلَّصين فهي قوّة اللّه»، « فإنَّ الروحي يحكمُ في كل شيء» (١كو ٢:١٥). أمّا الإنسان الحيواني فلا يُدرك ما لروح اللّه» (١كو ١:١٤) فإنَّها لجهالةٌ عند الذين لا يقتبلون ذلك بإيمان ويشككون في صلاح اللّه واقتداره العامّ. بل يدقّقون في بحث الإلهيّات بأفكار بشرية وطبيعيّة، لأنَّ كل ما يتعلّق باللّه هو فوق الطبيعة والنطق والتفكير.فإذا تساءل أحدهم كيف وبماذا ولماذا أخرج اللّه كل شيء من العدم إلى الوجود، وأراد أنّ يعبِّر عن ذلك بأفكار طبيعيّة، فهو لا يستوعبه وتكون معرفته نفسها طبيعيّة وشيطانيّة. أما إذا هو انقاد على هدي الإيمان وفكّر بإنَّ الإله صالح وقدير وصادق وحكيم وعادل، فهو يرى كل شيء سهلاً وممهّداً، والسبيل إليه رحباً. فإنَّهُ لا يمكن الخلاص بدون الإيمان. وبالإيمان يقوم كل شيء، بشرياً كان أم روحياً . لإنَّ الفلاّح بدون إيمان لا يشقّ أرضاً إلى أتلام ولا التاجر بدون إيمان يزجُّ بنفسه على خشبة صغيرة في لجّة البحر الهائج. ولا الزواجات تقوم، ولا أي شيء آخر مما في الحياة. فبالإيمان نفهم خروج كل شيء من العدم إلى الوجود بقوّة اللّه، وبالإيمان نقدِّر كل الإلهيّات والبشريّات قدْرها. فإنَّ الإيمان إقتناع لا يتخلّله أبحاث فارغة.

إذاً فإن كل أعمال المسيح ومعجزاته عظيمة جداً وإلهيّة وعجيبة. بيد أن أعجبها كلها صليبُه الكريم . فلولاه لما بَطُلَ الموت أبداً ولا انحلت خطيئة أبينا الأول ولا سُلِبَ الجحيم ولا مُنحت القيامة ولا أُعطيت لنا قوة لإحتقار الأشياء الحاضرة والموت نفسه ولا تمهّد السبيل للعودة الى السعادة القديمة ولا فتحت أبواب الفردوس وجلسَتْ طبيعتنا إلى ميامن اللّه ، ولا صرنا أبناء اللّه وورثته، لولا

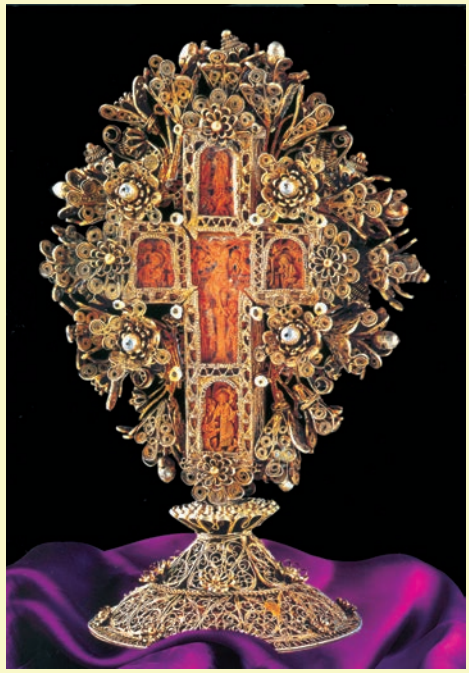

كان بصليب ربّنا يسوع المسيح، لأن كل شيء اصطلح مع الصليب .ولذا فأن الرسول يقول:

"إن كل من اصطبغ منّا في يسوع المسيح اصطبغ في موته" (روميه٦:٣) ، ونحن جملة من اعتمدنا في المسيح قد لبسنا المسيح" (غلاطية ٣:٢٧) ، و "المسيح قوّة اللّه وحكمة اللّه" (كورنثوس الأولى ١:٢٤).فهوذا موت المسيح ـ أي صليبه ـ قد ألبسنا حكمة اللّه وقوته الأقنوميّة. والكلمة، كلمة الصليب ، هو قوة اللّه، ذلك لأنه اقتدار اللّه، ولأنه انتصر على الموت وبه قد ظهر لنا،ولأنه–على نحو ما أنَّ أطراف الصليب الأربعة ترتبط وتشتدُّ في نقتطها الوسطى ـ كذلك، بقوّة اللّه، يجتمع العلوُّ والعمق والطول والعرضُ أي الخليقة كلها، ما يرى وما لا يرى.

إذاً فيجب السجود للعود الكريم حقاً والمستحق الأكرام الذي قرّب عليه المسيح ذاته مذبوحاً لأجلنا، وقد تقدّس بلمسه الجسدَ والدم الأقدسين. ويجب السجود أيضاً للمسامير والحربة وثيابه، ولمساكنه التي هي المذود والمغارة والجلجلة وقبره الخلاصيّ المحييّ ولصهيون أم الكنائس ولأمثالها، على ما يقول داود أبو المسيح إلهنا: "لندخل إلى مساكن الربّ ولنسجد لموطىء قدميه" (مزمور ١٣١:٧) والبرهان على أنه يعني بذلك الصليب، يؤخذ مما يأتي:"قمْ أيها الرب إلى راحتك" (مزمور ١٣١:٨)، لأن القيامة تتبع الصليب. فإذا كان الحبيب يحبُّ من محبوبه بيته وسريره ولباسه، فكم بالأحرى كثيراً يجب أن نحب ـ من إلهنا ومخلصنا ـ ما بواسطته صرنا مخلَصّين .

إشارة الصليب - للقدّيس يوحنا الذهبي الفم

إنّ إشارة الصليب التي كانت قبلاً فزعاً لكل النّاس الآن يتعشّقها ويتبارى في إقتنائها كلّ واحد ، حتى صارت في كلّ مكان بين الحكّام والعامة ، بين الرجال والنساء ، بين المتزوّجين والعذارى ، بين المخطوبين وغير المخطوبين ، لا يكّف النّاس عن رسمها في كلّ موضع كريم ومُكرّم ، ويحملونها منقوشة على جباههم كأنّها علامة ظفر على سارية نراها كلّ يوم على المائدة المقدّسة ، نراها عند رسامة الكهنة ، نراها تتألّق فوق جسد المسيح وقت التناول السرّي . وفي كلّ مكان يُحتَفل بها في البيوت ، في الأسواق ، في الصحاري ، في الطُرق ، على الجبال ، في شقوق الأرض (مغاير الرهّبان) ، على التلال ، في البحار ، على المراكب ، في الجُزُر ، في المخدع ، على الملابس ، على الأسلحة ، في الأروقة (المدارس) ، في المجتمعات ، على الأواني الذهبيّة ، على الأواني الفضيّة ، على اللؤلؤ ، في الرسومات على الحوائط ، على أجساد الذين مَسّهم الشيطان ، في الحرب ، في السلام ، في الليل ، في النهار ، في رقصات المبتهجين، في جماعات المتنسّكين ، وهكذا يتبارى الجميع في إقتناء هذه العطيّة العجيبة كنعمة لا يُنطَق بها.